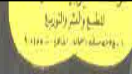
روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

١٠١

انقلاب

د. نبيل فاروق



رجل المستحيل ● ١٠١ ● انقلاب ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

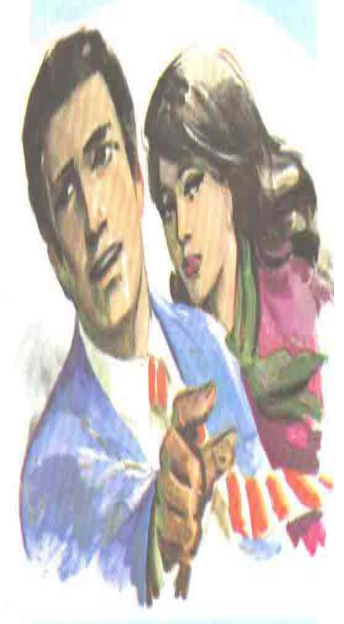
١٠١

الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

انقلاب

- ما المطلب الخاص، الذى قدّمه مدير مخابرات (باراجواى)، إلى المخابرات المصرية ؟!
- من اغتال رئيس جمهورية (باراجواى) ؟.. وكيف تورّط (أدهم) فى هذا الأمر ؟!
- تُرى هل يمكن أن ينجو (أدهم) من هذا المأزق، أم أنه يحتاج إلى (انقلاب) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (رجل المستحيل).



العدد القادم : نهر الدّم

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - الرجـل ..

« لا يمكننى أن أصدّق هذا .. » .

هتف مدير المخابرات العامة المصرية بالعبارة ، فى حنق واضح ، وهو يجلس فى مكتب رئيس الوزراء ، ولوّح بكفه فى حدة ، وهو يستطرد :

- (أدهم صبرى) يجلس خلف مكتب ، مثل أى موظف إدارى .. معذرة يا سيادة الوزير ، ولكننى أعتقد أن هذا القرار يفتقر كثيرًا إلى الحكمة .

- بدا الضيق على وجه رئيس الوزراء ، وهو يقول :

- إنك تتحدّث كما لو أن هذا نوع من العقاب .. الواقع أن (أدهم صبرى) قد حصل على ترقية ، عندما صدر القرار بتوليته رياسة قسم العمليات الخاصة ، ثم إن عمره يقترب الآن من الأربعين ، وهذا المنصب يناسبه تمامًا .

أجابه مدير المخابرات فى سخط :

- بالنسبة لـ (أدهم صبرى) ، الابتعاد عن العمليات الخارجية هو أبشع عقاب ممكن .. صدقنى يا سيادة الوزير .. المجال الوحيد الذى يصلح لهذا الرجل ، هو العمليات الخارجية غير التقليدية .

تطلّع إليه رئيس الوزراء لحظة فى غضب ، ثم اندفع يقول :

- من الواضح أننا لا نتحدّث عن الرجل نفسه ؟ فأنت ما زلت غارقًا فى تاريخ قديم ، وأنا أتحدّث عن واقع ملموس .. (أدهم صبرى) هذا ، الذى تتحدّث عنه كما لو كان أسطورة ، لم يعد سوى رجل محطّم ، زلزلت الأحداث الأخيرة كيانه ، ونفضته فى عنف ، حتى لم تعد داخله قوة تكفى ، لقتال مدرّب (جودو) (★) متقاعد .. هل نسيت ما عاناه فى مغامرته الأخيرة ؟.. لقد أصيب صديق عمره (قدرى) بعاهة مستديمة فى يده ، وزميلته (منى توفيق) تحتضر تقريبًا ، فى أحد مستشفيات (أمريكا) ، ومعاونه (حسام) لقى مصرعه ، وتلك الإسرائيلية التى تزوّجها يومًا (★★) ، انتحرت ونسفت نفسها مع ابنه أمام عينيه (★★★) .. ما الذى يمكن أن

(★) الجودو : رياضة يابانية ، لا تتطلّب قوة عضلية كبيرة ، بل تعتمد على تطبيق الأسس التشريحية للجسم ، وتعتبر رياضة (الجودو) برنامجًا أساسيًا لقوات الدفاع والشرطة ، لأنها تساعد المرء على التغلّب على خصم يفوقه قوة ، أو مسلّح ، وهى ضمن الألعاب الأوليمبية ، وتم إدراجها عام ١٩١٤م فى (طوكيو) .

(★★) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤) .

(★★★) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

تتوقّعه من رجل عانى كل هذا ؟.. إنه بشر أيها المدير .. مجرّد بشر .. حاول أن تدرك هذا .

قال المدير فى حزم :

- (أدهم صبرى) ليس مجرّد رجل عادى .. أعلم أنه عانى الكثير .. بل لقد احتمل أكثر مما يمكن أن يحتمله بشرى ، فزميلته (منى) ، التى تحتضر الآن فى (أمريكا) كما تقول ، لم تكن مجرّد زميلة .. إنها الأنثى الوحيدة ، فى العالم أجمع ، التى خفق قلبه بحبها ، ثم إنه شاهد مصرع ابنه الوحيد بعينيه .. هذا يكفى بالفعل لتحطيم أى رجل عادى .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يضيف :

- ولكن ليس (أدهم) .

لوّح رئيس الوزراء بيده ، وهتف :

- هأنتذا تعود للتحدّث عنه وكأنه أسطورة حية .. هل تعلم أننا عرضنا ملفه كله على مجموعة من كبار الأطباء النفسيين ، فأوصوا بتقاعده ؟

قال مدير المخابرات فى حزم :

- هذا لأنهم لا يعرفون (أدهم صبرى) .

صاح رئيس الوزراء فى حدة :

- إنهم خبراء فى مجالهم .

كرَّر المدير فى إصرار :

ـ ولكنهم لا يعرفون (أدهم) .

ثم نهض من مقعده ، وعدَّل وضع رباط عنقه فى حسم ، وهو يقول :

ـ أما أنا فأعرفه جيدًا ، وأعرف أنه من الممكنِ أن يتحطَّم لوح من الصلب ، تحت ضربات المطارق المستمرة .. الصلب نعم ، ولكن ..

وعاد حاجباه ينعقدان فى شدة ، وهو يضيف :

ـ ليس (أدهم صبرى) .

نهض رئيس الوزراء من خلف مكتبه بدوره ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وسار فى بطء حتى نافذة مكتبه ، وتطلَّع عبرها لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لا يمكننى أن أخاطر .

ثم التفت إلى مدير المخابرات ، مستطردًا :

ـ إنها مجازفة كبرى ، أن أرسل رجلًا مثله فى واحدة من عمليات المخابرات .

قال المدير فى حسم :

ـ يمكننى أن أتحمَّل المسئولية كاملة .

لوَّح رئيس الوزراء بيده نفيًا ، وقال :

ـ دعنا من هذا الآن .. أنا لم أستدعك لنناقش قضية (أدهم صبرى) .. ثم إن القرارات الخاصة بالمخابرات العامة تخصُّ السيد رئيس الجمهورية وحده .. إننا هنا من أجل مقابلة عاجلة وسرية للغاية .

سأله مدير المخابرات فى اهتمام :

ـ هذا ما أردت أن أسألك عنه .. من هذا الشخص ، الذى يطلب مقابلة رئيس الوزراء ومدير المخابرات العامة ، ويصرَّ على هذا القدر من السرية ؟

أجابه رئيس الوزراء :

ـ إنه مدير مخابرات دولة صديقة .

قال مدير المخابرات فى حذر :

ـ صديقة ؟!

أومأ رئيس الوزراء برأسه إيجابًا ، وقال وهو يهزّ كتفيه :

ـ إنها ليست دولة معادية على الأقل .

بدت نظرة تساؤل فى عينى مدير المخابرات ، ولكن رئيس الوزراء التفت مرة أخرى إلى النافذة ، ووقف يتطلَّع عبرها لحظات فى صمت ، قبل أن يكمل فى اقتضاب :

ـ (باراجواى) (*) .

ارتفع حاجبا مدير المخابرت فى دهشة ، وهو يقول :

ـ (باراجواى) ؟!.. وماذا يريد منا مدير مخابرات دولة مثل (باراجواى) ؟

أجابه رئيس الوزراء :

ـ إنه لم يُفصح عن مطلبه ، ولكنه فى طريقه إلى هنا ، ولن نلبث أن نعرف كل ما لديه .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دخل مدير مكتبه ، وقال :

ـ وصل السيِّد (ألبرتو جوانزاليس) ، ويطلب المقابلة على الفور يا سيادة رئيس الوزراء .

أشار إليه رئيس الوزراء ، قائلًا :

ـ دعه يتفضَّل بالدخول على الفور يا رجل .. إنه ضيف رسمى .

لم تمض ثوان معدودة ، حتى دلف إلى الحجرة رجل نحيل ، متين البنيان ، له شعر أكرت كثيف ، وخط الشيب

(*) (باراجواى) : جمهورية فى (أمريكا الجنوبية) عاصمتها (أسوسيون) ، تحيط بها (بوليفيا) و (البرازيل) و (أرجنتينا) ، يتركَّز سكانها فى الجزء الشرقى منها ، بين نهرى (بارانا) و (باراجواى) ، ومن أهم مدنها (كونسبسيون) ، وهى تشتهر بزراعة القطن ، والتبغ ، والأرز ، والقمح ، والموالح ، واللغة الرسمية فيها هى (الإسبانية) و (الجورانية) .

فوديه ، وشارب كث ، يمنحه مظهرًا قاسيًا ، وتبعه رجل ضخم الجثة ، إلا أنه استوقفه قائلًا :

ـ انتظر فى الخارج يا (بوراندى) .. إنه حديث خاص .

تراجع الضخم صاغرًا ، وأغلق الباب فى هدوء ، فى حين ابتسم (جوانزاليس) ، وقال بالإنجليزية :

ـ معذرة .. لقد اعتاد حارسى الخاص أن يتبعنى ، فى كل مكان أذهب إليه .

ثم مدَّ يده يصافح رئيس الوزراء ، مستطردًا :

ـ (ألبرتو جوانزاليس) .. مدير مخابرات (باراجواى) .

صافحه رئيس الوزراء فى حرارة ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بك فى (مصر) يا سنيور (جوانزاليس) .. كان المفروض أن نستقبلك رسميًا ، لولا إصرارك على ألا يشعر أحد بقدومك .

لوَّح (جوانزاليس) بكفه ، وقال :

ـ هذا أفضل يا سيادة رئيس الوزراء ، فالمهمة التى أتيت من أجلها بالغة التعقيد ، وتحتاج إلى سرية بالغة بالفعل .

ثم استدار يصافح مدير المخابرات المصرية ، مستطردًا بابتسامة واسعة :

- وأنت نظيرى هنا حسبما أعتقد .. أليس كذلك ؟

أجابه مدير المخابرات فى اقتضاب ، وبلغة إسبانية سليمة :

- بلى .. يسعدنى لقاؤك يا سنيور (جوانزاليس) .

ضحك (جوانزاليس) ، وهو يهتف :

- أنت تتحدّث الإسبانية بطلاقة .. عظيم .. هذا سيحل مشكلات عدم الفهم أو الترجمة من الإنجليزية .

أشار إليه رئيس الوزراء بالجلوس ، وهو يسأله :

- قل لى .. ما مشروبك المفضّل يا سنيور (جوانزاليس) ؟

جلس الرجل ، وهو يشير بيده قائلًا :

- فيما بعد يا سيادة رئيس الوزراء .. دعنا نناقش ما أتيت من أجله أوّلًا .

تبادل رئيس الوزراء نظرة مع مدير المخابرات ، ثم جلس خلف مكتبه ، وشبك أصابع كفيه أمامه ، وهو يقول :

- فليكن .. هيًا .. هات ما لديك .. كلى آذان صاغية .

اعتدل الرجل فى مقعده ، وقال :

- كلنا نعلم أن العلاقة بين بلدينا مجمّدة ، منذ عدة سنوات ، فلا يوجد تمثيل دبلوماسى رسمى ، ولا علاقات تجارية ، أو حتى روابط سياسية .

قال رئيس الوزراء فى رصانة :

- وهذا مما يؤسف له .

ابتسم (جوانزاليس) ، وقال :

- الواقع أننى هنا لتصحيح هذا الخطأ .

عقّد رئيس الوزراء حاجبيه ، وهو يتطلّع إليه فى حذر ، ثم مال إلى الأمام وقال :

- بمعنى ... ؟

لوّح الرجل بكفه ، وقال :

- بمعنى أننى أحمل أوراقًا رسمية ، لبدء التمثيل الدبلوماسى بين دولتينا ، وعددًا من العقود التجارية ، لاستيراد عشرات المنتجات من (مصر) ، مثل الملابس والزيوت ، والصابون ، وبعض المعدات الثقيلة ، وهذه العقود تبلغ قيمتها مليار دولار كبداية ، وندعو وفدًا من رجال الصناعة لديكم لزيارتنا ، وبحث موقف الأسواق لدينا ، وفرص الاستثمار المشترك ، و ...

قاطعه مدير المخابرات فى حزم :

- مقابل ماذا ؟

اتسعت عينا رئيس الوزراء فى ارتياع ، ورمق مدير المخابرات بنظرة قاسية ، وكأنه يحذره من الاستطراد ، فى حين قال (جوانزاليس) فى بطء :

- ولماذا ينبغى أن يكون هناك مقابل ؟

أشار رئيس الوزراء بطرف خفى لمدير المخابرات ، حتى لا يدخل فى مناقشة مع الرجل ، إلا أن مدير المخابرات تظاهر بأنه لم ينتبه إلى هذا ، وهو يقول :

- لأنك طلبت مقابلتى ، فلو اقتصر الأمر على طلب مقابلة رئيس الوزراء ، لاقتنعت بأنها عملية تحسين علاقة بين دولتين فحسب ، أما طلب مقابلتى ، فيعنى حتمية وجود مقابل لهذا العرض السخى .

ابتسم (جوانزاليس) ، وداعب شاربه الكث بسبّابته ، قبل أن يقول :

- من الواضح أنك تستحق منصبك هذا يا رجل .

ثم اعتدل ، وأضاف فى حسم :

- نعم .. هناك مقابل لكل هذا .

سأله رئيس الوزراء :

- مقابل من أى نوع ؟.. هل تطلبون تأييدنا فى مجلس الأمن مثلًا ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

- ليست لدينا مشكلات خارجية فى الوقت الحالى ، ولكننا نعانى فى الواقع مشكلة أخرى .. مشكلة أمنية داخلية .

سأله مدير المخابرات فى اهتمام :

- وما طبيعة هذه المشكلة ؟

صمت الرجل ، وراح يداعب شاربه بعض الوقت ، وهو ينقل بصره بين وجهى رئيس الوزراء ومدير المخابرات ، ثم قال :

- لدينا معلومات مؤكّدة ، تشير إلى وجود استعدادات خفية ، فى قلب جهاز المخابرات ، لاغتيال السيّد (بونزا كورتينا) ، رئيس جمهوريتنا ، والقيام بانقلاب خطير ، بغرض الاستيلاء على الحكم ، وقلب نظام الدولة .

تبادل رئيس الوزراء ومدير المخابرات نظرة حذرة ، قبل أن يسأل الأخير (جوانزاليس) فى اهتمام أكثر :

- وما صلتنا نحن بهذه المؤامرة ؟

تنهّد (جوانزاليس) ، ولوّح بذراعه ، وقال :

- المشكلة أننا نجهل تمامًا أسماء المشاركين فى هذه المؤامرة ، ونخشى أن يكون بينهم بعض القيادات الهامة فى المخابرات ، مما يضعنا فى موقف شديد الحساسية والحرج ، فلو أننا تحرّكنا لمنع المؤامرة ، أو التصدّى لها ، سينكشف أمر تحركاتنا هذه ، ويغيّر المتآمرون خطتهم ، أو ينتقلوا إلى خطة بديلة ، فنفقد كل الخيوط من بين أيدينا .

سأله مدير المخابرات :
ـ وما المطلوب منا بالضبط ؟
تراجع (جوانزاليس) فى مقعده ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة ، وهو يقول :
ـ قل لى يا عزيزى .. هل قرأت رواية (سجين زندا) ؟ (*) .
قال مدير المخابرات فى حيرة :
ـ نعم .. قرأتها منذ زمن طويل .
وسأل رئيس الوزراء فى حذر :
ـ ولكن يا سنيور (جوانزاليس) .. ما صلة الرواية بحديثنا هذا ومحاولة اغتيال رئيسكم ؟
أجابه الرجل فى حماس :
ـ صلة وثيقة يا سيادة رئيس الوزراء .. أنا أيضًا قرأت الرواية فى صباى ، وعندما درست موقفنا ، وجدت أنها تناسبنا تمامًا ، وكل ما نحتاج إليه هو شخص من خارج (باراجواى) ، لا يعرفه رجالنا ، الذين نشك فى وجود المتآمرين بينهم ، ويمكنه أن ينتحل شخصية الرئيس

(*) سجين زندا : رواية للكاتب البريطانى (أنتونى هوب) ، ينتحل فيها البطل (رودلف) شخصية ملك (روريتانيا) ، الذى اختطفه أخـوه غير الشقيق ، ليمنع حضوره حفل التتويج ، ولقد كتب (هوب) روايته هذه عام (١٨٩٤م) .

(بونزا كورتينا) ، بحيث تساعده طبيعته كمحترف على إنقاذ حياته ، إذا ما حاول أحدهم اغتياله .
ران الصمت لحظات على المكان ، ثم قال رئيس الوزراء :
ـ وهل تعتقد أن هذا يكفى ، لمنع حدوث انقلاب فى دولتك ؟
أجابه (جوانزاليس) :
ـ خطة المتآمرين تعتمد على اغتيال رئيس الدولة ، ثم استغلال حالة الفوضى والاضطراب الناشئة ، للسيطرة على المراكز الحيوية ، مثل الإذاعة وشبكة البث التليفزيونى ، وقيادة الجيش ، وغيرها ، والقيام بالانقلاب .. ولو أمكننا منع حدوث الاغتيال ، ستنهار خطتهم كلها .
قال مدير المخابرات :
ـ ولماذا رجل من عندنا بالذات ؟
ابتسم (جوانزاليس) ، وقال :
ـ لأن لديكم الرجل الذى نحتاج إليه بالضبط .. الرجل الذى يمكنه انتحال شخصية الرئيس (بونزا) ، دون أن يشك فيه مخلوق واحد .
قال رئيس الوزراء فى دهشة :
ـ عندنا نحن ؟!

أجابه (جوانزاليس) فى حزم :
ـ نعم يا سيادة رئيس الوزراء ، فالواقع أننا لسنا بصدد اختيار عشوائى .. لقد قمنا بتحرياتنا بمنتهى الدقة ، ووجدنا غايتنا لديكم .. إننى هنا لاستعارة أحد رجال مخابراتكم ، لإنقاذ دولتى من انقلاب وشيك ، وهذا الرجل يدعى (أدهم) .. (أدهم صبرى) .
وبرقت عينا مدير المخابرات العامة المصرية .. برقتا فى شدة ..
وفى ظفر ..





٢ ـ المهمـة ..

يا لها من أيام ، تلك التى يحياها (أدهم) ، منذ معركته فى جزيرة (هيل) !..
كان الحزن والمرارة يملآن نفسه ، وذاكرته تصر ، فى كل لحظة ، على استرجاع تلك اللحظة ، التى ضغطت فيها (سونيا) زر التفجير ، لتنسف نفسها مع ابنه ..
لم يكن يتصور أنه سيشعر يومًا بكل هذا العذاب فى أعماقه ..
لقد خسر فى معركته الأخيرة كل من يحب ، فيما عدا شقيقه الدكتور (أحمد صبرى) ..
ابنه لقى مصرعه أمام عينيه ، و (حسام) قضى نحبه بدلًا منه ، و (منى) أصيبت إصابات بالغة ، وترقد فاقدة الوعى تمامًا ، فى أحد مستشفيات (أمريكا) ، وإلى جوارها يرقد (قدرى) ، الذى حطمت (سونيا) كفه اليمنى ، إلى الحد الذى عرّضها للبتر ، لولا تدخل (أدهم) فى اللحظة الأخيرة .. (*) .

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم ١٠٠

وحتى هو ، فقد العمل الذى يعشقه ، وانتقل إلى أعمال الإدارة ، التى طالما استاء منها وبغضها ..
والعجيب أن الجميع يهنئونه على الفوز والنصر ، لأنه الشخص الوحيد ، ضمن أجهزة المخابرات ، فى العالم أجمع ، الذى نجح فى بلوغ وكر منظمة (سناك) ، وتدمير خطتها للاستيلاء على العالم ..
ولكنه لم يشعر لحظة واحدة بطعم النصر ..
إنه ـ على العكس ـ يشعر بمرارة الهزيمة فى حلقه ، وألمها فى نفسه ، و ...
قطع تسلل أفكاره بغتة رنين جرس الهاتف ، فتحرَّك فى خفة من موضعه ، إلى جوار النافذة ، والتقط سمَّاعة هاتفه الخاص ، ولم يكد يضعها على أذنه ، حتى سمع صوت صديقه (قدرى) ، يقول فى رصانة لم يعهدها فيه من قبل :
ـ أنا (قدرى) يا (أدهم) .. كيف حالك ؟
هتف به (أدهم) فى حرارة :
ـ كيف حالك أنت يا (قدرى) ؟.. لقد اتصلت بك منذ قليل ، فأخبرونى أنك تجرى بعض تدريبات العلاج الطبيعى .. كيف حال يدك الآن ؟
تنهَّد (قدرى) تنهيدة حارة ، نقلت خطوط الهاتف لهيبها عبر المحيط ، من (الولايات المتحدة الأمريكية) إلى (مصر) ، قبل أن يجيب :

ـ لست أشعر بتحسّن واضح هذه المرة .. صحيح أن أصابعى تستطيع الآن التقاط سمَّاعة الهاتف ، ولكن .. ولكننى أجد صعوبة فى العزف على البيانو ..
حاول أن ينطق العبارة الأخيرة فى شىء من المرح ، ولكن حروفها الأخيرة اختنقت فى حلقه ، وبدت أشبه بالنحيب ..
وكان (أدهم) يدرك ما يعانيه صديقه ..
كان يفهم ويشعر بحجم المرارة فى أعماقه ، بعد أن فقدت يده مهاراتها السابقة ، التى صنعت منه أستاذًا فى عالم التزوير والتزييف الشرعى، فى عمليات المخابرات ..
وصمت (أدهم) لحظات ..
صمت ؛ ليمنح صديقه فرصة إفراغ عواطفه ، ثم قال بصوت دافئ حنون :
ـ كل شىء يمكن إصلاحه يا صديقى .. إنها مسألة وقت فحسب .
كان من الواضح أن دموع (قدرى) تسيل ، وهو يجيب :
ـ نعم .. إنها مسألة وقت .
لم يشأ (أدهم) أن يتركه مرة أخرى لأحزانه ، فسأله بسرعة :
ـ وكيف حال (منى) ؟

أطلق (قدرى) زفرة أخرى حارة ، وأجاب :
ـ ما زالت غارقة فى تلك الغيبوبة اللعينة ..
ثم هتف فجأة فى انفعال :
ـ ماذا أصابنا يا (أدهم) ؟.. ما تلك الموجة العنيفة ، التى ابتلعتنا جميعًا ؟..
لقد واجهنا الموت عشرات المرات ، ولكن الخطر كان يحوم حولنا ، دون أن يهوى على رءوسنا كالصاعقة ، كما حدث هذه المرة .. ماذا أصابنا ؟
ابتلع (أدهم) مرارته ، وهو يجيبه :
ـ كل شىء يتغيَّر يا صديقى .
مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول (قدرى) :
ـ فليكن يا (أدهم) .. أردت سماع صوتك فحسب ..
قل لى : هل سنراك قريبًا ؟
أجابه (أدهم) فى حسم :
ـ قريبًا جدًا يا صديقى .. لا يمكننى البقاء بعيدًا عنك وعن (منى) طويلًا .
أنهى المحادثة ، وقد تضاعفت كمية الحزن فى أعماقه ، وتوقَّفت كغصة مريرة فى حلقه ، جعلته يتمتم فى صوت متحشرج :
ـ نعم .. ماذا أصابنا ؟

لم يكد ينطقها ، حتى سمع دقات منتظمة على باب مكتبه ، فاستعاد سيطرته على مشاعره فى سرعة مدهشة ، وهو يقول :
ـ من الطارق ؟
دلف ملازم شاب إلى مكتبه ، وألقى عليه التحية ، قبل أن يقول فى احترام :
ـ السيِّد المدير يرغب فى رؤيتك على الفور يا سيادة العقيد .
نهض (أدهم) ، وارتدى سترته ، وهو يقول :
ـ سأذهب إليه على الفور .
ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان يدلف إلى مكتب مدير المخابرات ، الذى استقبله بابتسامة جذلة ، وهو يقول :
ـ تفضل يا (أدهم) .. سنيور (جوانزاليس) يرغب فى تبادل حديث قصير معك .
استدار (أدهم) يتطلَّع إلى الرجل النحيل ، صاحب الشارب الكث ، والمنظار الداكن ، الذى يبدو متناقضًا مع طبيعة الإضاءة داخل الحجرة ، ورآه يبتسم وهو يقول بالإسبانية :
ـ إذن فأنت سنيور (أدهم صبرى) الشهير .

صافحه (أدهم) فى هدوء ، وهو يتفحَّص ملامحه لحظة فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :
ـ وأنت (ألبرتو جوانزاليس) ، أركان حرب جيش (باراجواى) السابق ، ومدير جهاز مخابراتها الحالى .
رفع (جوانزاليس) حاجبيه فى دهشة ، ثم أطلق ضحكة عالية ، وهو يقول :
ـ رائع .. من الواضح أنك موسوعة حية ، فى عالم المخابرات يا سنيور (أدهم) .. تمامًا كما أخبرونا عنك .
سأله (أدهم) فى سرعة :
ـ من هؤلاء الذين أخبروكم عنى ؟
ابتسم (جوانزاليس) ابتسامة خبيثة ، وهو يرفع سبَّابته أمام وجهه ، قائلًا :
ـ ما من رجل مخابرات يكشف عن مصادره يا سنيور (أدهم) .
وهنا تدخَّل مدير المخابرات المصرى ، قائلًا :
ـ سنيور (جوانزاليس) يطلب تعاوننا معه فى مهمة خاصة يا (أدهم) ، ولقد حصلنا على موافقة السيِّد رئيس الجمهورية على الأمر ، وبقيت موافقتك أنت .

قال (أدهم) فى شىء من الضيق :
ـ بصفتى رئيسًا لقسم العمليات الخاصة ؟!
ابتسم المدير ، وهزَّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :
ـ كلَّا .. باعتبارك الشخص الذى سينفذ المهمة .
برقت عينا (أدهم) فى شدة ، واستعادتا حيويتهما ونشاطهما دفعة واحدة ، وتحرَّكت يده فى انفعال ، جعل المدير يبتسم أكثر ، وهو يقول :
ـ كنت أعلم أن هذا سيروق لك !
أشار (جوانزاليس) بيده ، وقال :
ـ مهلًا يا سيادة المدير .. دعنى أشرح له المهمة أوَّلًا .
وبلا مقدمات ، اندفع (جوانزاليس) يشرح الأمر لـ (أدهم) ، الذى استمع إليه فى اهتمام كامل ، ودون أن يقاطعه بحرف واحد ، ثم سأله :
ـ وهل يعلم الرئيس (بونزا) بهذا الأمر ؟
لوَّح (جوانزاليس) بيده ، وهو يجيب فى حماس :
ـ بالطبع ، وستلتقى به حتمًا ، قبل أن تنتحل شخصيته ، حتى يمكنك دراسته عن قرب ، كما سأمنحك الآن شريطًا من أشرطة تسجيل الفيديو ، يحمل تسجيلًا للحياة اليومية للسيِّد الرئيس .. ستحتاج حتمًا لمعرفة كل هذا .

سأله (أدهم) :
ـ ولكن لماذا لا تقومون بتشديد الحراسة على الرئيس ، بدلًا من جلب شخص آخر لانتحال شخصيته ؟
أجابه (جوانزاليس) فى بساطة :
ـ لأننا ما زلنا نجهل تمامًا شخصية المتآمرين ، وقد يكون بعضهم ضمن طاقم حراسته ، كما أن تشديد الحراسة عليه سيعلن أن لدينا معلومات عن العملية ، وهذا قد يُفسد خطتنا كلها .. إننا نحتاج إلى رجل آخر ، خبير فى التعامل مع القتلة ، ويمكنه مواجهتهم ، والتصدِّى لهم فى أية لحظة ، حتى ولو حاولوا مباغتته .
ران على المكان صمت طويل ، بعد أن انتهى (جوانزاليس) من حديثه ، وراح (أدهم) يرمقه بنظرة عميقة ، كما لو كان يحاول أن يغوص فى أعماقه ، ويستشف ما يخفيه فيها ، ولكن المنظار الداكن حجب عينى الرجل تمامًا ، وإن لم يحجب ابتسامته الباردة ، وهو يقول :
ـ ما قولك يا سيِّد (أدهم) ؟.. هل توافق على القيام بالمهمة ؟
أسرع مدير المخابرات يقول :
ـ لقد أجرينا اتفاقًا جيدًا مع سنيور (جوانزاليس) ، فى هذا الشأن .. اتفاق لصالح الميزان التجارى المصرى .. لصالح (مصر) يا (أدهم) .

أجاب (أدهم) على الفور :
ـ أوافق يا سيِّدى .. متى نسافر إلى (باراجواى) ؟
ارتسمت ابتسامة ظافرة على وجه (جوانزاليس) ، ونهض يمد يده لمصافحة (أدهم) ، وهو يجيب :
ـ مساء اليوم .. كنت أعلم أنك ستوافق يا سنيور (أدهم) ، ولقد أعددت العدة لهذا .
ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد فى لهجة مفعمة برنة نصر ، لم ترق أبدًا لـ (أدهم) :
ـ مرحبًا بك فى وطنى يا سنيور (أدهم) .. مرحبًا بك فى (باراجواى) ..
وعندما تصافحا ، شعر (أدهم) أن أصابع (جوانزاليس) قوية صارمة ، تمامًا كشخصيته ، وشعر فى أعماقه بأن هذا الرجل يخفى أكثر مما أعلنه .
أكثر بكثير ..

★ ★ ★

« ما رأيك فى (باراجواى) يا سنيور (أدهم) .. » ؟
ألقى (جوانزاليس) سؤاله هذا ، وهو يجلس داخل سيارة (مرسيدس) سوداء مصفَّحة ، تنطلق به مع (أدهم) فى شوارع العاصمة (أسوسيون) ، وتسير أمامها وخلفها سيارتان مشابهتان ، تضمان طاقم الحراسة الخاص برئيس

المخابرات ، فمطَّ (أدهم) شفتيه ، وقال فى شىء من الضجر :

ـ (أسوسيون) تشبه (القاهرة) إلى حد ما ، ولكن إجراءات الأمن عندكم تبدو شديدة التعسف .

ابتسم (جوانزاليس) ، وهو يقول :

ـ أتقصد انتشار قوات الجيش فى المطار والشوارع الرئيسية ؟.. هذا أمر ضرورى يا رجل ، فنحن لا نتمتع هنا بذلك الاستقرار ، الذى يحيط بكم فى (مصر) .. هناك العديد من المخربين ، الذين يسعون دومًا لقلب نظام الحكم ، ومن الضرورى أن نكون على حذر طوال الوقت .

قال (أدهم) ، وهو يلقى نظرة آسفة عبر النافذة ، على جندى يدفع أمامه أحد المواطنين فى قسوة :

ـ الحذر لا يمنع القدر .

أطلق (جوانزاليس) ضحكة ساخرة عالية هذه المرة ، وهو يجيب :

ـ هل تعتقد هذا حقًا ؟

ثم عاد يضحك فى سخرية مقيتة ، لم ترق أبدًا لـ (أدهم) ، إلا أنه لم يشأ الدخول فى مناقشة عقيمة مع الرجل ، فأشاح بوجهه عنه ، واكتفى بمشاهدة العاصمة عبر النافذة المصنوعة من الزجاج المصفّح ، حتى سمع

الحارس الخاص (بوراندى) ، يقول فى صوت أجش غليظ :

ـ لقد وصلنا .

أدار (أدهم) عينيه ، ورأى الموكب الصغير يتجه نحو قصر منيف ، أحيط بحراسة مكثفة ، على نحو يثير الدهشة ، حتى أنه بالإضافة إلى رجال الحراسة والجيش ، كان هناك مدفع مضاد للطائرات فوق سطح القصر ، ودبابتان على جانبيه ، إلى جانب عشرات من رجال الأمن ، رآهم (أدهم) داخل القصر ، وفى كل حجراته ، قبل أن يستقر به المقام مع (جوانزاليس) وحارسه الخاص ، فى حجرة مكتب ضخمة ، وأشار (جوانزاليس) إلى أريكة وثيرة ، وهو يقول :

ـ سننتظر فخامة الرئيس (بونزا) هنا .

وسبق (أدهم) إلى الأريكة ، وأشعل سيجارته فى استمتاع واضح ، ونفث دخانها فى عمق وبطء ، ولكن (أدهم) لم يلحق به ، وإنما ظلّ واقفًا ، يتأمّل المكان فى صمت وهدوء ، وعينا (بوراندى) تتابعانه فى شىء من التحفّز ، جعل (أدهم) يلتفت إليه فجأة ، ويقول فى صرامة :

ـ هل أبدو لك وسيمًا إلى هذا الحد ؟

انعقد حاجبا الحارس الضخم فى غضب ، واعتصر

أصابعه فى قبضته فى عصبية ، ولكن ارتفع فجأة صوت رصين حازم قوى ، يقول :

ـ اعذر (بوراندى) يا سنيور (أدهم) ، فهو لا يجيد شيئًا فى الدنيا سوى القتال .

اعتدل (جوانزاليس) فى مجلسه ، وهبّ واقفًا فى سرعة ، وهو يقول :

ـ فخامة الرئيس .

واستدار (أدهم) فى هدوء إلى مصدر الصوت ، فوقع بصره على رجل متين البنيان ، طويل القامة ، فى أوائل الخمسينات من عمره ، أصلع الرأس ، وخط الشيب معظم ما تبقّى من شعره ، وأحاط بعينيه منظار طبى أنيق ، وكان الرجل يبتسم ابتسامة كبيرة ، وهو يمد يده إليه مصافحًا ، ومستطردًا :

ـ أنت سنيور (أدهم صبرى) .. أليس كذلك ؟.. إنك تبدو كصورتك تمامًا ، ولكن ذلك الشيب فى فوديك يمنحك عمرًا يفوق عمرك الحقيقى .

صافحه (أدهم) ، وهو يقول :

ـ أعتقد هذا يا سيّدى الرئيس .

أشار إليه الرئيس بالجلوس ، ودار ليجلس خلف مكتبه ، وخلع منظاره الطبى ، قبل أن يقول :

ـ صدقنى يا سنيور (أدهم) .. لم يكن من السهل علىَّ أن أقبل الفكرة ، التى وضعها (جوانزاليس) ، فمن السخيف أن تستأجر من يعرِّض نفسه للموت من أجلك .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ سنيور (جوانزاليس) لم يستأجرنى .

ابتسم الرئيس ، وهو يقول :

ـ آه .. معذرة لاستخدامى هذا المصطلح البغيض يا سنيور (أدهم) .. أنت على حق .. إن أحدًا لم يستأجرك ، ولكنك تتعاون معنا بروح الود والصداقة .. وبالمناسبة .. لا أحد هنا يعرف طبيعة مهمتك سواى أنا و (جوانزاليس) ..

أشار (أدهم) إلى الحارس الضخم ، وقال ساخرًا :

ـ وماذا عن هذا الوسيم هناك ؟

عقد (بوراندى) حاجبيه فى غضب ، فى حين أطلق الرئيس ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ نعم .. (بوراندى) أيضًا يعرف هذا .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا :

ـ بالنسبة للجميع ، أنت مندوب عن وزارة الخارجية المصرية ، تجرى بعض المفاوضات معنا ، بشأن العلاقات بين (مصر) و (باراجواى) .

غمغم (أدهم) :
ـ هذا أفضل .
تراجع الرئيس فى مقعده ، ولوّح بكفيه ، قائلًا :
ـ حسن يا سنيور (أدهم) .. هأنذا أمامك .. كيف يمكننى أن أساعدك ؟
أجابه (أدهم) فى هدوء :
ـ فى المعتاد لا أحتاج إلى معاونة من أنتحل شخصياتهم يا سيادة الرئيس ، ولقد درست تسجيل الفيديو الخاص بك جيدًا ، ولكن ما دمت تبدى استعدادًا للتعاون ، فهذا يجعل الأمر أكثر دقة وإتقانًا .
سأله الرئيس فى شىء من اللهفة ، وهو يميل نحوه مرة ثانية :
ـ حسن .. ماذا تريد منى ؟.. هل تدرس صوتى مثلًا ، أم تصنع قناعًا لوجهى ؟
أجابه (أدهم) بابتسامة باهتة :
ـ ليست هناك أدنى مشكلة بخصوص الصوت .
لم يكد ينطق العبارة ، حتى ارتفع حاجبا (جوانزاليس) بدهشة بالغة ، وعقد (بوراندى) حاجبيه فى شدة ، فى حين تراجع الرئيس فى عنف ، وهو يهتف :
ـ ربّاه !.. لو لم أر شفتيك تتحركان ، لأقسمت إننى أنا الذى يتحدّث .. إنك تقلّد صوتى فى براعة مذهلة ..

قال (أدهم) فى هدوء :
ـ أعتقد أن الأمر سيبدو أكثر دقة ، عندما أنتحل هيئتك أيضًا يا سيادة الرئيس .
هتف الرئيس ، وهو يلوّح بكفيه :
ـ بالطبع .. بكل تأكيد .
ولكن (جوانزاليس) رفع يده ، وقال فى شىء من الصرامة :
ـ ما زلت أشعر بالشك .
التفت إليه الجميع فى تساؤل ، فتابع فى قلق :
ـ صحيح أن كل ما لدينا من معلومات ، يشير إلى أن سنيور (أدهم) شديد البراعة ، فى فن التنكر ، ولكننى أشك فى قدرته على خداع المقربين من السيِّد الرئيس .
بدأ الشك يتسلّل إلى وجه الرئيس ، وهو يقول :
ـ هل تعتقد هذا ؟
وقال (أدهم) فى حزم :
ـ لن يكشف أحد الأمر .
لوّح (جوانزاليس) بسبّابته أمام وجهه ، وقال :
ـ لا يمكن الجزم بهذا نظريًا .. إننا نحتاج إلى تجربة عملية .
سأله الرئيس :
ـ وماذا تقترح ؟

أجابه (جوانزاليس) فى سرعة :
ـ دع سنيور (أدهم) يتنكّر فى هيئتك ، ثم يجوّل بعض الوقت فى القصر الجمهورى ، ولنر : هل يتعرّفه أحد الحرّاس أم لا ؟
أومأ الرئيس برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ فكرة لا بأس بها .. ما رأيك يا سنيور (أدهم) ؟
وعلى الرغم من الحذر ، الذى نما فجأة فى أعماق (أدهم) ، إلا أنه أجاب فى هدوء :
ـ ليس لدى أى مانع .
ثم نهض مستطردًا :
ـ ولكننى أريد حقيبتى ، ومكان للعمل .
أجابه (جوانزاليس) فى حماس :
ـ ستحصل على كل ما تطلبه ، ولكن قل لى يا سنيور (أدهم) .. هل تحمل سلاحًا ؟
قال (أدهم) :
ـ مسدسى الخاص فحسب .
مدّ (جوانزاليس) يده إليه ، وهو يقول :
ـ أعطنى إياه .. معذرة .. إنه إجراء أمنى تقليدى .
انتزع (أدهم) مسدسه ، وناوله إياه ، قائلًا :
ـ يمكننى فهم هذا .

التقط (جوانزاليس) المسدس من ماسورته ، ووضعه فى عناية على سطح مكتب الرئيس ، ثم ابتسم قائلًا :
ـ هيّا يا سنيور (أدهم) .. أرنا ما ستفعله .
وللمرة الثالثة ، تعالت نبرة الحذر فى أعماق (أدهم) .. تعالت كثيرًا ..

★ ★ ★

ارتفع حاجبا الرئيس (بونزا) فى دهشة حقيقية ، وهو يتابع على شاشة المراقبة تحركات (أدهم) ، الذى انتحل هيئته بدقة مذهلة ، وراح يتحرّك فى أرجاء القصر بكل هدوء ، ويلقى بعض تعليماته وملاحظاته للعاملين فيه ، دون أن تتطرّق ذرّة واحدة من الشك إلى أحدهم ، فى أن الواقف أمامه ، والذى يتحدّث إليه ، ليس الرئيس (بونزا كورتينا) نفسه ، فهتف الرئيس فى حماس :
ـ رائع .. عظيم .. أنت تستحق مكافأة كبيرة يا (جوانزاليس) ، على اختيارك لهذا الرجل .. إنه مدهش .. هل رأيت كيف خدع الجميع ؟.. إنه قادر على خداعى أنا نفسى .. قل لى : ما المكافأة التى ترضيك ؟
أجابه (جوانزاليس) ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة كبيرة :
ـ رضاك يا فخامة الرئيس هو مكافأتى الكبرى .



التقط (جوانزاليس) المسدس من ما سورته ، ووضعه فى عناية على سطح مكتب الرئيس ..

لوَّح الرئيس بيده ، وقال :

ـ كلَّا .. كلَّا .. أنت تستحق مكافأة كبيرة بالفعل .

ثم ضحك ، وهو يلتفت إليه ، مستطردًا :

ـ أم أن صديقك الملياردير (بدروس) ، قد أهداك كل ما تحتاج إليه ؟

ابتسم (جوانزاليس) ابتسامة عصبية ، وهو يجيب :

ـ (جون بدروس) صديق طفولة يا فخامة الرئيس .

قال الرئيس :

ـ آه .. أعلَم هذا يا (جوانزاليس) .. كنت أمزح فحسب .

ثم استطرد فى حماس :

ـ ولكن هذا الرجل رائع بحق .. انظر .. ها هو ذا يعود أدراجه إلى هنا .. أريد أن أستقبله استقبالًا حارًا ، يليق ببراعته المدهشة .

بدت ابتسامة (جوانزاليس) غامضة مخيفة ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا فخامة الرئيس .. سيكون استقباله مفاجأة ، على أى مقياس معروف .

ومع آخر حروف كلماته ، دلف (أدهم) إلى الحجرة ،

وانتزع قناع الرئيس (بونزا) ، ووضعه فى جيبه ، وهو يبتسم ، قائلًا :

ـ ما رأيكم ؟

اندفع نحوه الرئيس ، وصافحه فى حرارة ، وهو يقول فى حماس :

ـ رائع .. بل أكثر من رائع .. إنك تستطيع خداعى أنا نفسى .

ابتسم (جوانزاليس) ابتسامة غامضة أخرى ، وهو يرتدى قفازا جلديًا فى يده اليمنى ، وتبادل نظرة سريعة مع حارسه الخاص ، قبل أن يقول :

ـ نعم .. البراعة فى أن تنجح فى خداع الجميع .

تراجع الرئيس عائدًا إلى مقعده خلف مكتبه ، وهو يقول :

ـ لا يمكننا إلا أن نشهد لسنيور (أدهم) بالبراعة المنقطعة النظير ، فهو ..

بتر عبارته بغتة ، وهتف وهو ينظر إلى بقعة ما ، خلف (أدهم) تمامًا :

ـ ماذا تفعل يا (بوراندى) ؟

قبل أن يتمّ عبارته ، شعر (أدهم) بذراعى (بوراندى) القويتين تطوقان ذراعيه ووسطه ، والحارس

الضخم يزمجر فى شدة ، فى حين التقط (جوانزاليس) مسدس (أدهم) ، الموضوع على مكتب الرئيس ، وصوَّبه إلى هذا الأخير ، وهو يبتسم فى سخرية وشماتة ، قائلًا :

ـ إنه ينفذ أوامرى ، وكل شىء يسير على ما يرام ، طبقًا للخطة .

حدَّق الرئيس فى المسدس بذهول ، وهو يهتف :

ـ أية خطة ؟!

أدرك (أدهم) على الفور ما يعتزم (جوانزاليس) فعله ، فتحرَّك فى سرعة ، ودفع قدمه بكل قوته إلى الخلف ، ليضرب بها ركبة (بوراندى) ، الذى أطلق صرخة قصيرة ، ثم شدَّد ضغط ساعديه على صدر (أدهم) وذراعيه ، وهو يزمجر فى وحشية ، فى نفس اللحظة التى قال فيها (جوانزاليس) .

ـ خطة إزاحتك عن طريق طموحاتى الضخمة .

وضغط زناد مسدسه ..

وتفجَّرت الدماء من صدر الرئيس (بونزا) ، قبل أن يهوى فوق مكتبه ..

وعندئذ فقط ، أدرك (أدهم) أن مهمته قد بدأت .. مهمته الحقيقية .

★ ★ ★

٣ ـ خطة الشيطان ..

تفجّر غضب هائل فى أعماق (أدهم)، عندما رأى (جوانزاليس) يطلق النار على الرئيس (بونزا)، وتحوّل غضبه هذا إلى قوة مدهشة، سرت فى عروقه، وهو يهتف:

ـ أيها الوغد الخائن الحقير.

ورفع قدميه إلى الأمام، معتمدًا بثقله على ذراعى (بوراندى)، اللتين تطوقانه، ثم استجمع كل قوته، ودفع قدميه إلى الخلف كالقنبلة، لترتطما بساقى الحارس الضخم، وعندما سمعه يتأوّه، ويطلق خوارًا كالثور، ثنى جسده إلى الأمام، وحمله على ظهره، على الرغم من أن وزنه يكاد يبلغ ضعف وزنه هو، ودار حول نفسه فى مرونة، وسقط مع الحارس أرضًا، بحيث ارتطم ظهر (بوراندى) بالأرض فى عنف، و (أدهم) فوقه..

ومع عنف الصدمة، تراخت ذراعا الحارس الضخم عن صدر (أدهم) لجزء من الثانية فحسب، قبل أن يستعيد توازنه..

ولكن هذا كل ما يحتاج إليه رجل مثل (أدهم صبرى)..

لقد انزلق جسده من بين ذراعى (بوراندى) فى خفة، فى ذلك الجزء من الثانية، وترك ذراعيه تعتصران الفراغ، ثم هبّ واقفًا على قدميه، واندفع نحو (جوانزاليس)، صائحًا فى غضب:

ـ أنت تستحق القتل.

ولكن (جوانزاليس) تراجع فى سرعة وذعر، وضغط عدة أزرار على مكتب الرئيس، وهو يصوّب مسدسه إلى (أدهم)، هاتفًا:

ـ ابتعد .. ابتعد عنى.

انطلقت صفارات الإنذار فى القصر كله، فور الضغط على الأزرار، وضغط (جوانزاليس) زناد مسدسه، وانطلقت رصاصته، ولكن بعد أن قبض (أدهم) على معصمه، ورفع فوهة المسدس عاليًا، وهو يقول:

ـ أنت أقذر خائن رأيته فى حياتى.

وهوى على فك الرجل بلكمة كالقنبلة، انتزعته من مكانه، وقذفته عبر مكتب الرئيس إلى المكتبة الخلفية، فارتطم بها فى عنف، وسقط منظاره الداكن، وهو يهوى أرضًا..

وانقضّ (بوراندى) على (أدهم) مرة ثانية، وهو يصرخ غاضبًا:

ـ لقد ضربت الرئيس .. كيف تجرؤ؟

ولكن (أدهم) استدار إليه بسرعة ومرونة، واستقبله بلكمة كالقنبلة فى فكه، وهو يقول:

ـ هل تشعر بالغيرة منه أيها الخنزير البرى؟

استقبل (بوراندى) اللكمة بخوار آخر، وزمجر فى وحشية، وهو يلكم (أدهم) بكل قوته، ولكن (أدهم) تفادى اللكمة بحركة مرنة، ولكم الحارس الضخم فى معدته، مستطردًا:

ـ فليكن .. هأنذا أضربك مثله.

تراجع (بوراندى)، وهو يصرخ فى ألم وغضب، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها فريق من رجال أمن القصر الحجرة، وهم يحملون مدافعهم الآلية، وصاح بهم الحارس الضخم، وهو يشير إلى (أدهم):

ـ ألقوا القبض عليه .. لقد قتل الرئيس.

وبدون تفكير أو مناقشة، ارتفعت فوهات المدافع الآلية كلها نحو (أدهم)، فى حين نهض (جوانزاليس) مترنحًا، وهو يقول:

ـ ألقوا القبض عليه .. إنه القاتل .. قاتل رئيسنا المحبوب (بونزا).

ولم يكن هناك مجال للمناقشة والشرح ..

لقد وضع (جوانزاليس) اللعين خطته بمنتهى الدقة، ولن يجد (أدهم) أذنًا صاغية واحدة، يمكنه أن يشرح لها الأمر.

ولكنه لن يستسلم ..

لن يفعل هذا قط ..

وفى حركة شديدة المرونة والسرعة، وثب (أدهم) يركل (بوراندى) بقدمه، وهو يهتف:

ـ لا وقت لدى للشرح هذه المرة.

ثم قفز نحو النافذة، مستطردًا:

ـ سنلتقى فيما بعد.

اخترق جسده النافذة، التى تحطّم زجاجها بدوى عنيف، امتزج بصرخة (جوانزاليس) الغاضبة:

ـ اقتلوه لو لزم الأمر .. لا تسمحوا له بالفرار قط.

انطلقت رصاصات الحرّاس، تحطّم ما تبقّى من زجاج النافذة، ثم أشار إليهم (بوراندى)، هاتفًا:

ـ توقّفوا .. دعونا نر ما فعلناه.

ثم اندفع نحو النافذة، وتطلّع عبرها فى دهشة، قبل أن يهتف ..

ـ أين ذهب ؟..

كانت الحديقة تبدو خالية تمامًا، ثم امتلأت فجأة برجال

الحراسة ، وهتف أحدهم ، وهو يشير إلى الجدار المجاور للنافذة :

ـ ها هو ذا .

استدار (بوراندى) فى سرعة ، ورأى (أدهم) يتحرَّك مبتعدًا فى خفة ، فوق أفريز ضيق ، على ارتفاع ثلاثة طوابق ، فصاح بالحرَّاس :

ـ أطلقوا النار فورًا .

لم يكد (أدهم) يسمع هذا الأمر ، حتى وثب فى رشاقة مذهلة ، واخترق أوَّل نافذة أمامه ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصات الحرَّاس ، وارتطمت بالجدار ..

وفى عصبية ، صاح (بوراندى) ، وهو يتراجع إلى داخل الحجرة :

ـ لقد عاد إلى القصر .

هتف (جوانزاليس) ، مشيرًا إلى الحرَّاس ورجال الأمن :

ـ ابحثوا عنه .. أريده حيًا أو ميتًا .

اندفع الرجال للبحث عن (أدهم) ، فى حين قال (بوراندى) فى عصبية :

ـ هذا الرجل يتحرَّك بسرعة مدهشة .

انحنى (جوانزاليس) يلتقط منظاره الداكن، وهو يقول ..

ـ لن يغادر القصر حيًا .. أنت تعلم أننى أشرفت على نظم الأمن بنفسى .

تطلَّع إليه (بوراندى) فى إعجاب ، وهو يقول :

ـ أنت عبقرى يا فخامة الرئيس .

ثم استدرك فى خبث :

ـ باعتبار ما سيكون .

ابتسم (جوانزاليس) ، وهو يقول :

ـ إنها خطة متقنة للغاية ، ولا تقبل الفشل يا (بوراندى) .. لقد سجَّلت آلات التصوير والمراقبة حركة ذلك المصرى ، وهو ينتحل شخصية (بونزا) ، ويتحرَّك فى القصر ، ثم يتجه إلى هنا ، والجميع يعلمون أنه مندوب وزارة الخارجية المصرية ، وعندما نعلن هويته ، كرجل مخابرات مصرى ، لن يصبح من العسير أن نتهمه بقتل الرئيس ، ونلقى التهمة كلها عليه ، وعلى دولته كلها .

قال (بوراندى) :

ـ وتصبح أنت الرئيس الجديد .

هزَّ (جوانزاليس) كتفيه ، وابتسم قائلًا :

ـ ومن يصلح لهذا المنصب سواى ؟

كان (بوراندى) يتطلَّع إلى ابتسامة رئيسه ، ويهمَّ بالتعليق على عبارته ، عندما تلاشت هذه الابتسامة بغتة ،

وبرزت بدلًا منها ملامح الذعر واللهفة ، و (جوانزاليس) يهتف فى عصبية مدروسة ..

ـ لماذا تأخَّرتم ؟.. أسرعوا بإسعاف الرئيس .

اندفع الفريق الطبى الخاص بالقصر الجمهورى ، إلى حيث سقط الرئيس ، وراحوا يفحصونه فى سرعة ، و (جوانزاليس) يواصل أداء دوره ، ويقول فى غضب مصطنع ..

ذلك الجاسوس المصرى باغتنا ، وأطلق النار على فخامة الرئيس ، ثم انطلق هاربًا .. المصريون قتلوا رئيسنا المحبوب .

قال رئيس الفريق الطبى فى انفعال :

ـ من حسن الحظ أنهم لم ينجحوا فى هذا .

احتقن وجه (جوانزاليس) ، وهو يلتفت إليه فى سرعة ، هاتفًا :

ـ ماذا تعنى ؟

واصل الطبيب عمله فى سرعة ، وهو يقول فى لهجة تحمل مزيجًا من اللهفة والارتياح :

ـ إصابة فخامة الرئيس بالغة بالفعل ، ولكنه لم يمت بعد .

وكانت صدمة بالنسبة لـ (أليرتو جوانزاليس) وحارسه الخاص .

صدمة قاسية ..

★ ★ ★

لم يكد (أدهم) يقتحم النافذة الأخرى ، ويقفز عبرها إلى قاعة الاجتماعات فى القصر الجمهورى ، حتى تحرَّك فى سرعة وخفة ، على الرغم من ثيابه التى مزَّقتها شظايا الزجاج ، وتلك الجروح الصغيرة ، المتناثرة بفعل الأطراف الحادة ، فى يديه وساقيه ..

كان يُدرك جيدًا أنه فى موقف لا يُحسد عليه ؛ فهو متهم بقتل رئيس (باراجواى) ، ويحاول الفرار من داخل القصر الجمهورى نفسه ، من بين عشرات من رجال الأمن ، وجيش كامل من الجنود ..

وبحسبة سريعة ، وجد (أدهم) أن الوسيلة الوحيدة لإرباك هذا الحشد من مطارديه ، هى أن يتنكَّر مرة أخرى فى هيئة الرئيس (بونزا) ، فاستعاد قناع وجه هذا الأخير من جيبه ، وارتداه مرة ثانية فى عناية ، ثم اندفع خارج القاعة ، و ...

« فخامة الرئيس ؟!.. »

هتف بها ملازم شاب فى دهشة ، وهو يحدّق فى

(أدهم) ، الذى قفز خارج القاعة ، ثم خفض الملازم سلاحه بسرعة ، واستطرد مرتبكًا :

ـ ولكنهم يرددون أنك ...

قاطعه (أدهم) فى سرعة وحزم ، مقلدًا صوت ولهجة الرئيس :

ـ لا تصدق كل ما تسمعه يا فتى .. إننى لم أمت بعد ، ولكن هناك مؤامرة تجرى لاغتيالى .

هتف الملازم الشاب فى حماس :

ـ أنا رهن إشارتك يا فخامة الرئيس .. بم تأمرنى ؟

أشار (أدهم) بيده ، وهو يقول :

ـ أسرع بى إلى المخرج الخلفى .. سننفذ خطة الطوارئ .

قال الملازم فى قوة وحسم :

ـ الخطة (ب ـ ١٠٥) يا فخامة الرئيس .

لم يكن (أدهم) يعلم شيئًا عن هذا الأمر بالتحديد ، ولكنه يدرك جيدًا ـ بحكم عمله ـ أنه توجد حتمًا ودائمًا خطة للطوارئ ؛ لإنقاذ الرئيس فى أية محاولة لاقتحام القصر الجمهورى ، لذا فقد أجاب فى حزم :

ـ نعم .. إنها هى .

هتف به الملازم الشاب :

ـ اتبعنى إذن يا فخامة الرئيس .

وانطلق يعدو عبر ممرات القصر وأروقته ، فى نظام معقد ، و (أدهم) يتبعه ، ومن خلفهما تعالى دوى رصاصات رجال الأمن ، وهم يقتحمون القاعة ، فهتف الملازم الشاب :

ـ هل تآمر بعض رجال الأمن ؟

أجابه (أدهم) :

ـ نعم .. وهم يتقاتلون مع الآخرين .

قال الملازم الشاب فى اشمئزاز :

ـ يتآمرون على الرئيس .. يا للقذارة !

كان يصعد مع (أدهم) إلى الطابق الرابع من القصر ، ثم أشار إلى مصعد صغير ، وهو يقول :

ـ تفضل يا فخامة الرئيس .. هذا سيحملنا إلى الهليوكوبتر ، التى تنتظر مع قائدها على السطح بصفة دائمة .

قفز (أدهم) داخل المصعد الصغير ، وتبعه الملازم الشاب ، وصعدا طابقًا آخر ، فلاح لهما السطح ، والهليوكوبتر تقف فى منتصفه ، وأسرع إليها الملازم الشاب ، وهو يهتف بقائدها ، الذى يقف عند حافة السطح ، محاولاً استطلاع ما يحدث ، بعد سماعه دوى الرصاصات :

ـ أسرع يا رجل .. سننفذ الخطة (ب ـ ١٠٥) ، لتهريب فخامة الرئيس .

استدار الطيار فى دهشة ، وحدق لحظة فى وجه (أدهم) ، الذى ينتحل هيئة الرئيس (بونزا) ، قبل أن يهتف فى انفعال :

ـ أنا رهن إشارتك يا سيدى الرئيس .. أسرع إلى الهليوكوبتر .

ولكن فجأة ، دوى فى المكان صوت يهتف فى صرامة وغلظة :

ـ لن يتحرك أحدكم من هنا .

وفى اللحظة التالية ، كان (بوراندى) يندفع إلى المكان بجسده الضخم ، وهو يصوب إلى الجميع مدفعًا آليًا ، ويستطرد فى خشونة ، موجهًا حديثه إلى (أدهم) :

ـ كنت أعلم أنك من الذكاء ، بحيث يمكنك التوجه مباشرة إلى هنا .

رفع الملازم الشاب مدفعه الآلى فى مواجهة (بوراندى) ، صائحًا :

ـ لا تصوب مدفعك إلى فخامة الرئيس يا هذا ، وإلا ...

قاطعه (بوراندى) برصاصات مدفعه ، التى اخترقت جسد الشاب المسكين ، وانتزعته من مكانه ، كما لو كان

دمية صغيرة ، ودفعته إلى الخلف فى عنف ، فارتطم بمروحة ذيل الهليوكوبتر ، وتحطم معها ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

ووثب (أدهم) يلتقط مدفع الملازم الشاب ، وهو يهتف :

ـ أيها الوغد الحقير .

أدار (بوراندى) فوهة مدفعه نحوه ، وراح يطلق النيران فى غزارة وعصبية ، مما أفقده دقة التصويب ، فتفجرت الرصاصات كلها خلف قدمى (أدهم) ، وهو يدور فى سرعة ، ليحتمى بجسم الطائرة ، فى حين راح الطيار يصرخ فى ارتياع ، وهو يلوح بذراعيه :

ـ أنا لم أفعل شيئًا .. لم أفعل شيئًا .

ولكن (بوراندى) صرخ فيه ، وهو يطلق النار نحوه :

ـ اصمت أيها الحقير .. إنك تمنعنى من التركيز .

تلقى الطيار الرصاصات كلها فى صدره ، وأطلق صرخة ألم هائلة ، وهو يندفع إلى الخلف ، ويتجاوز حاجز السطح ، ثم يهوى من حالق ..

وفى اللحظة التالية ، كانت رصاصات (أدهم) تطيح بمدفع (بوراندى) الآلى ، وصوته يتردد هاتفًا :

ـ (بوراندى) .. أنت أحقر خنزير رأيته ، فى حياتى كلها .

تراجع الحارس الضخم فى دهشة ، عندما فقد سلاحه ، وتساءل مذعورًا : لماذا لم يقتله (أدهم) مباشرة ، ثم اتسعت عيناه ذعرًا ، عندما رأى (أدهم) يغادر مكمنه ، وهو يحمل مدفعه ، ويتجه نحوه مستطردًا فى غضب :

ـ فحتى الخنازير الوحشية ، لا يقتل بعضها البعض دون مبرِّر .

هتف (بوراندى) فى عصبية، وهو يتراجع رافعًا ذراعيه :

ـ من السهل على من يحمل السلاح ، أن يتحدَّث كما يحلو له .

قذف (أدهم) مدفعه بعيدًا ، وهو يقول :

ـ وماذا عن الأعزل ؟

تألَّقت عينا (بوراندى) ، وهو يضمّ قبضته ، قائلًا :

ـ يدفع ثمن غبائه .

ثم انقض على (أدهم) ، مطلقًا صرخة وحشية عجيبة ، وهوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، تفاداها (أدهم) بانحناءة مرنة ، ثم لكم الحارس الضخم فى معدته ، لكمة بدت للرجل كمطرقة من الصلب ، جعلته يطلق شهقة قوية ، وينثنى على نفسه ، ولكن قنبلة انفجرت فى فكه ، وأجبرته على الاعتدال مرة أخرى ، فصرخ فى ثورة :

ـ لا أحد يفعل هذا بـ (بوراندى) .

ودفع ذراعيه إلى الأمام ، محاولًا تطويق (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير وثب جانبًا ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة ، يمكنك أن تطلق علىَّ هذا الاسم .

وانفجرت قبضته فى أنفه الضخم ، مع استطرادته :

ـ اسم (لا أحد) .

انطلقت من حنجرة (بوراندى) زمجرة غضب واحتجاج ، جعلته أشبه بديناصور (★) صغير ، وتفجَّرت الدماء من أنفه المحطَّم ، فأغرقت نصف وجهه ، وهو يستلّ من حزامه خنجرًا ماضيًا ، ويلوِّح به فى وجه (أدهم) ، هاتفًا :

ـ أنت تستحق ما سأفعله بك .. سأذبحك كالنعاج .

واندفع نحو (أدهم) فى وحشية شرسة ، ودفع خنجره فى عنقه ، ولكن (أدهم) مال جانبًا فى مرونة وبساطة ، دون أن تتحرَّك قدماه قيد أنملة ، وارتفعت يده تقبض على معصم (بوراندى) بأصابع من فولاذ ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنك بطىء الفهم أيها الثور .

(★) الديناصور : زواحف برية ، كانت تعيش فى حقب الحياة الوسطى ، وانقرضت قبل نهاية الزمن الطباشيرى ، وكان معظمها يتميَّز بضخامته وأشكاله المخيفة ، وتتفاوت فى الطول ، من ٧٥ سم إلى حوالى ٢٧ مترًا .

ثم لوى المعصم فى حركة سريعة قوية ، فأجبر الرجل على إفلات خنجره ، قبل أن تقفز قدمه لتركله بين ساقيه ، مع استطرادته :

ـ وهذا يعنى أنك تحتاج إلى درس آخر .

سقط الضخم على ركبتيه ، وتأوَّه فى ألم ، ولكن قبضة (أدهم) هوت على فكه كالصاعقة ، و (أدهم) يكمل :

ـ أو إلى علقة ثانية .

هوى (بوراندى) أرضًا ، وأطلق صوتًا مزعجًا ، قبل أن يفقد وعيه ، فى نفس اللحظة التى تعالت فيها أصوات الرجال ، وهم يهرعون إلى السطح ، وقائدهم يصرخ :

ـ حاصروا المكان جيدًا ، وأطلقوا عليه النار فور رؤيته .

أسرع (أدهم) إلى باب السطح ، فأغلق رتاجه فى إحكام ، ثم تلفَّت حوله ، وهو يتمتم فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ يبدو أنك قد وقعت فى المصيدة هذه المرة يا (أدهم) .. الجميع يعلمون أنك هنا ، ويحيطون بالمكان كله ، وأنت لا تملك سلاحًا ، والهليوكوبتر تحطمت مروحة ذيلها ، ولن يمكنها ضبط توجيهها .

كان الرجال قد بلغوا باب السطح ، وراحوا يدقون عليه

بكعوب مدافعهم ، ثم بدءوا فى إطلاق النار على رتاجه ، فأسرع (أدهم) يفحص الحديقة ، من خلف أسوار السطح ، وهو يتابع :

ـ والآن كيف السبيل إلى الفرار من هنا ؟.. إننا على ارتفاع خمسة طوابق ، ورجال الأمن والجيش يملئون الحديقة ، وهذا الباب لن يحتمل طويلًا ، وسينهار رتاجه مع تلك الرصاصات القوية ، و ...

وفجأة ، اعتدل ، وبرقت عيناه فى اهتمام ، عندما وقع بصره على سيارة (جوانزاليس) المصفَّحة ، التى تقف عند باب القصر ، وغمغم :

ـ عظيم .. ها هى ذى وسيلة الخروج المثالية من القصر ، ولكن كيف الوصول إليها ؟.. كيف ؟

فى نفس اللحظة التى بدأ فيها رحلة البحث عن جواب ، كان قائد رجال الأمن خلف باب السطح يهتف برجاله :

ـ توقَّفوا عن هذا العبث العشوائى .. كلنا نعلم أن هذا الباب متين للغاية ..

تراجعوا بضع خطوات ، وصوِّبوا على الرتاج مباشرة .

أطاعه الرجال على الفور ، وانهالت رصاصاتهم على الرتاج ، الذى لم يلبث أن تحطَّم وقفز من موضعه ، فدفع الرجال باب السطح ، واندفعوا إليه بمدافعهم المشهورة ،

فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها هدير مروحة الهليوكوبتر ، التى ارتفعت عن السطح ، وهى تدور حول نفسها على نحو مخيف ، فهتف قائد الرجال :

ـ إنه يحاول الفرار بالهليوكوبتر المصفَّحة .

أجابه أحد رجاله ، وهو يشير إلى الطائرة ، التى بدت أشبه بحلقة دوَّارة ضخمة بعد أن فقد ذيلها اتزانه ، وراح يدور حول نفسه ، على نحو جعل قائد رجال الأمن يقول فى دهشة وحيرة :

ـ ما الذى يتوقَّعه هذا الرجل من طائرة كهذه ؟.. إنها لن تذهب به إلى أى مكان ؟!

ولكن (أدهم) لم يكن يحتاج إلى الهليوكوبتر للذهاب إلى أى مكان ..

كان يحتاج إليها فقط للهبوط من سطح القصر إلى الحديقة ..

وهذا ما فعله ..

لقد تمكَّن من السيطرة على الهليوكوبتر ، على الرغم من إصابة الذيل ، وبدا المشهد مدهشًا ، مثيرًا للحيرة والانبهار ، وهو يهبط بها بالقرب من سيارة (جوانزاليس) المصفَّحة ، والجميع يتابعونه مشدوهين ..

ثم انطلقت صرخة (جوانزاليس) ، لتنتزعهم من ذهولهم ، وهو يهتف :

ـ ما الذى تتطلعون إليه أيها الأغبياء .. أطلقوا النار عليه .

وثب (أدهم) من الهليوكوبتر ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها الرصاصات ، وتدحرج على الأرض فى رشاقة ، متفاديًا النيران الكثيفة ، قبل أن يقفز واقفًا على قدميه ، ويعدو نحو السيارة المصفَّحة ، التى انتزع سائقها مسدسه ، وهو يهتف :

ـ حذار أن تقترب ، وإلا ...

وقبل أن يتمّ عبارته ، فوجئ بـ (أدهم) يقفز نحوه قفزة مدهشة ، ويدور حول نفسه دورة رأسية ، تكاد تنافس لاعبى الأكروبات فى السيرك ، ليتجاوز مقدِّمة السيارة ، ويهبط على قيد خطوة واحدة منه ، وهو يقول ساخرًا :

ـ وإلا ماذا ؟

ثم هوت قبضته على فك الرجل كالصاعقة ، والتقط مسدسه قبل أن يسقط أرضًا ، ثم وثب داخل السيارة المصفَّحة ، وأدار محرِّكها ، وهو يقول متهكمًا :

ـ أشكرك ؛ لأنك تركت المفاتيح فى موضعها .



ثم هوت قبضته على فك الرجل كالصاعقة ، والتقط مسدسه قبل أن يسقط أرضًا ، ثم وثب داخل السيارة ..

جحظت عينا (جوانزاليس) فى غضب وارتياع ، عندما رأى (أدهم) ينطلق بسيارته المصفحة ، والرجال يطلقون النيران عليها ، فترتدّ رصاصاتهم عن جسمها فى عنف ، فراح يصرخ من نافذة حجرة مكتب الرئيس ، وهو يلوِّح بذراعيه :

ـ أغلقوا الأبواب .. لا تسمحوا له بالفرار .

ثم أسرع إلى الهاتف الداخلى ، وانتزع سمَّاعته ، وهو يقول :

أنا القائد (جوانزاليس) .. قاتل الرئيس استولى على سيارتى المصفَّحة ، وكل رصاصات الحرَّاس لن تنجح فى خدشها .. استمع إلىَّ جيدًا .. إنها سيارتى ، وأنا أكثر من يعرف قدراتها .. مُرْ الرجال بالتوقُّف عن إطلاق النار ، وأطلق الدبابتين خلف السيارة .. سنغلق الأبواب كلها ، ونحاصره داخل الحديقة ، ثم تتعامل الدبابتان معه .

ثم أنهى الاتصال وعيناه تلتمعان فى وحشية مفرطة ، ودقّ بقبضته على سطح مكتب الرئيس ، وهو يستطرد :

ـ لن تغادر هذا القصر حيًّا أيها المصرى .. خذها كلمة منى .. كلمة من (جوانزاليس) .

وفى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته ، كانت الدبابتان قد تحرَّكتا لتنفيذ مهمتهما ، والتعامل بكل قوتهما مع العدو ..
وكان العدو فى هذه المرة هو الرجل ..
رجل المستحيل .

★ ★ ★



٤ ـ دبابتان ورجل ..

على الرغم من القتال الدائر فى عنف ، داخل وخارج القصر الجمهورى ، انهمك فريق الأطباء الخاص بالرئيس فى محاولات إسعافه وإنقاذه ، وتم نقله على وجه السرعة إلى حجرة عناية مركَّزة خاصة ، فى الطابق الأرضى ، ملحقة بقاعة مجهَّزة لإجراء العمليات الجراحية العاجلة ، وقال أحد الأطباء فى توتر :
ـ يمكننا إيقاف النزيف ، ولكن من الصعب استخراج الرصاصة هنا ، فهى على حافة البطين الأيسر للقلب (★) ، ومحاولة انتزاعها من هذا المكان ، قد تصبح السبب فى مصرع الرئيس .
أجابه أحد زملائه :
ـ المهم أن نوقف النزيف ، ونبقى على حياة فخامة

(★) القلب : عضو عضلى أجوف ، يقع معظمه إلى الجهة اليسرى من الصدر ، بين الرئتين ، ودقاته أساسية للحياة ، لأنها مصدر دوران الدم ، وهو ينقسم إلى قسم أيمن ، يستقبل الدم الوريدى ، ويدفعه إلى الأوعية الرئوية لتنقيته ، وقسم أيسر يستقبل الدم النقى من الرئتين ، ويوزعه على جميع أنسجة الجسم .

الرئيس ، حتى ينتهوا من القضاء على قاتله ، أو إلقاء القبض عليه ، وبعدها سيتم نقله إلى جناحه الخاص ، فى مستشفى (أسوسيون) المركزى ، وهناك يمكنهم إنقاذه ، بما لديهم من خبرات وإمكانات .
زفر الطبيب الأوَّل ، وهو يقول :
ـ إننى أبذل قصارى جهدى .
ثم هزَّ رأسه فى قوة ، وهو يضمِّد جرح الرئيس ، قبل أن يستطرد :
ـ العجيب أننى ـ وعلى الرغم من استعداداتنا الدائمة لأية أحداث طارئة ـ لم يخطر ببالى قط أن هذا يمكن أن يحدث .. جاسوس يتسلَّل إلى هنا ، ويُطلق النار على الرئيس !.. يا للعجب !
أجابه زميله :
ـ سترى الكثير ، ما دمت تحيا هنا يا رجل .
لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ندّت من الرئيس حركة خفيفة ، وصدرت عنه عدة تأوهات خافتة ، فهتف أحد الأطباء فى انفعال :
ـ إنه يستعيد وعيه .
صاح طبيب آخر فى لهفة :
ـ أسطوانة أكسجين .. أسرعوا بإحضار أسطوانة أكسجين .

فتح الرئيس (بونزا) عينيه فى صعوبة ، وتطلَّع متهالكًا إلى الأطباء المحيطين به ، فقال أحدهم فى حرارة :
ـ اطمئن يا فخامة الرئيس .. إننا نبذل قصارى جهدنا لإسعافك .
همهم الرئيس بعبارة غير مفهومة ، فانحنى نحوه أحد الأطباء ، وأمال أذنه تجاه شفتيه ، وهو يسأله :
ـ ماذا تقول يا فخامة الرئيس ؟
سعل الرئيس ، قبل أن يهمس فى خفوت ، وعلى نحو أوحى بأنه يبذل جهدًا خارقًا :
ـ (جوانزاليس) .. هو الـ .. الـ ..
وراح يسعل مرة أخرى ، وتناثرت الدماء من فمه على وجه الطبيب ، الذى تراجع فى حركة حادة ، وتطلَّع فى دهشة إلى الرئيس ، الذى سقط مرة أخرى فى غيبوبة عميقة ، فهتف طبيب آخر :
ـ ما الذى أخبرك به ؟
هزَّ الطبيب رأسه ، قبل أن يقول :
ـ يبدو أنه كان يوصينى ، بأنه لو أصابه مكروه ، فلينتقل الحكم إلى الجنرال (جوانزاليس) .. لقد اختاره ليخلفه .. هذه وصيته .

ران على المكان صمت رهيب ، وتبادل الجميع نظرات تحفل بالأسف والمرارة ، ثم عاد كل منهم يبذل قصارى جهده لإنقاذ الرئيس ، وقد استقرت فى عقولهم - دون اتفاق مسبق - فكرة واحدة ..

لا بد أن يبقى الرئيس على قيد الحياة ..

وبأى ثمن ..

★ ★ ★

أدرك (أدهم) ، منذ اللحظة الأولى ، أن السيارة التى يركبها مصفحة وقوية بحق ، فقد ارتدت عنها الرصاصات ، التى انهمرت كالمطر ، دون أن تترك فيها سوى خدوش بسيطة ..

ولكن ما الذى يفعله بسيارة مصفحة ، وهو سجين داخل حديقة القصر الجمهورى ؟!..

كان يعلم أن أبواب الأسوار كلها قوية ، ولن يمكنه اختراقها بوساطة السيارة ، على الرغم من قوتها ..

ثم إن السيارة كانت ، على الرغم من قوتها ، بطيئة ، صعبة المناورة ..

ربما بسبب ألواح الصلب ، التى تختفى فى سقفها وجانبيها وقاعها ..

المهم أنها لم تكن قط من ذلك الطراز ، الذى يروق لرجل مثل (أدهم صبرى) ، فى مثل هذه الظروف ..

ثم فجأة ، انفجرت خلفه قنبلة قوية ..

انفجرت على قيد نصف المتر منه ، وكان انفجارها عنيفًا قويًا ، حتى أن السيارة كادت تنقلب على جانبها ، لولا ثقل وزنها ..

وفى تلك اللحظة فقط ، انتبه (أدهم) إلى أنه مطارد ، وأن ما يطارده ليس سيارة أخرى ، أو كتيبة من قوات الجيش .. بل دبابتان ..

دبابتان قويتان تطاردانه ، وتسعيان لمحاصرته فى أحد أركان الحديقة ، ونسفه نسفًا ..

وأعاد إليه هذا ذكريات قديمة ..

ذكريات عمله فى قوات الصاعقة المصرية (★) ، قبل وأثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ م (★★) .

(★) راجع قصة (الخطوة الأولى) .. المغامرة رقم ٣١

(★★) حرب أكتوبر ١٩٧٣م : بعد ست سنوات من نكسة يونيو ١٩٦٧م ، هبّ الجيش المصرى فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م ، لمقاتلة العدو الإسرائيلى ، وتمكّن من تحقيق معجزة عسكرية ، على أى مقياس عسكرى ، عندما نجح فى عبور قناة السويس ، وتدمير خط (بارليف) ، وتعتبر هذه أوّل هزيمة عسكرية للجيش الإسرائيلى ، منذ بدأ الصراع العربى مع إسرائيل .

وقبل أن يتوغّل فى ذكرياته ، انفجرت عن يمينه قنبلة جديدة ، فانحرف فى عنف إلى اليسار ، وبدت له الدبابتان واضحتين ، وهما تتجهان إلى جانبى الحديقة ، فى محاولة لتطويقه ..

ومن شرفة القصر ، لوّح (جوانزاليس) بقبضته صارخًا :

- اسحقوه .. انسفوه .. انسفوا هذا المصرى نسفًا .

ولكن (أدهم) دار بسيارته فى حركة سريعة ، وانطلق نحو الدبابتين ، ثم انحرف فى مهارة ، وهو ينطلق أسفل مدفعيهما ، فهتف (جوانزاليس) فى حنق :

- اللعنة !.. هذا الشيطان خبير فى التعامل مع الدبابات .. إنه يقترب إلى أقل من مدى رماية مدفعى الدبابتين .

قال له أحد جنود الأمن فى دهشة :

- ولكنه يبتعد مرة أخرى .

عقد (جوانزاليس) حاجبيه فى توتر ، وهو يتساءل عما يفعله (أدهم) بالضبط ، فقد رآه ينطلق مرة أخرى مبتعدًا عن الدبابتين ، ويراوغ فى اندفاعة متعرّجة ، جعلت إصابته عسيرة ، ولكن قائدى الدبابتين كانا بارعين بحق ، فقد اتجه كل منهما نحو الآخر ، وخفضا مدفعيهما فى وضع

شبه أفقى ، وحاصرا سيارة (أدهم) ، واستعدا لإطلاق قذيفتيهما نحوها ..

وفى السيارة ، رأى (أدهم) ما فعلته الدبابتان ، فى المرآة الداخلية ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يتمتم :

- هيا .. صوّبا جيدًا ، فأنا أعتمد عليكما .

وضغط فرامل سيارته بغتة ، فأطلقت إطاراتها صريرًا عاليًا ، وهى تحتك بالممر المرصوف فى منتصف الحديقة ، واستدار هو يتابع حركة المدفعين فى دقة ، ثم هتف لنفسه بغتة :

- الآن .

قالها ، وهو يضغط دوّاسة الوقود ، ويندفع بالسيارة إلى اليمين بغتة ، مبتعدًا بمقدار ستة أمتار ..

وفى نفس اللحظة ، التى تحرّك فيها ، أطلقت الدبابتان قذيفتيهما ، اللتين تجاوزتا الموضع ، الذى كان يحتله (أدهم) منذ لحظة واحدة ، وواصلتا طريقهما لحظة أخرى ، ثم انفجرتا فى الباب الرئيسى للقصر مباشرة ..

وانهار الباب المصفّح ، مع دوى الانفجارين العنيفين ، وامتزج الدوى بتلك الضحكة الساخرة العالية ، التى أطلقها (أدهم) ، والتى فهم معها الجميع خطته البارعة ..

لقد استخدم خبرته السابقة ، فى التعامل مع الدبابات وقيادتها ، وأدرك متى يبدأ مسئول المدفع فى إطلاق قذيفته بالضبط ، واختار لنفسه موضعًا مناسبًا ، بحيث يتوسط المسافة ، بين المدفعين والبوَّابة الرئيسية ، وترك للدبابتين مهمة فتح الباب ، الذى يعجز هنا عن فتحه .. وحده (أدهم صبرى) يستطيع هذا ..

هو فقط ، يمكنه انتزاع النصر ، من بين فكّى الهزيمة ..

لقد حوَّل السلاح المدمِّر ، بخدعة بارعة ، إلى وسيلة للنجاة ..

وجنّ جنون الجميع ، وعلى رأسهم (جوانزاليس) ، الذى راح يصرخ فى هياج ، وهو يشاهد (أدهم) ينطلق بسيارته المصفَّحة ، ويعبر البوَّابة المحطَّمة :

ـ أسرعوا خلفه .. لا تتركوه يفرّ هكذا .

وضغط (أدهم) دوَّاسة الوقود ، بكل ما يملك من قوة ، وانطلقت سيارته بالفعل بسرعة رهيبة ، تكاد تفوق سرعتها وهى جديدة ، وعلى الرغم من هذا فقد بدت له بطيئة ثقيلة ، مما جعله يغمغم :

ـ هذا أحد الأسباب ، التى أبغض من أجلها السيارات المصفَّحة .

رأى فى المرآة الجانبية للسيارة أربعًا من سيارات (الجيب) القوية ، تعبر بوَّابة القصر لمطاردته ، فانحرف جانبًا فى سرعة ، وهو يواصل حديثه مع نفسه ، قائلًا :

ـ هيّا يا (أدهم) .. حاول أن تسترجع كل ما حفظته عن جغرافية (باراجواى) .. لقد راجعت خريطة (أسوسيون) أمس ، والمفروض أن تتذكَّرها .. هيّا .. اعتصر ذهنك .. هناك جسر بعد كيلو مترين .. نعم .. إننى أتذكَّر هذا جيدًا .

حاول أن يضغط دوَّاسة الوقود أكثر ، ولكن السيارة كانت تنطلق بسرعتها القصوى بالفعل ، وعلى الرغم من هذا راحت سيارات (الجيب) الأربع تقترب ، وتقترب .. ثم لاح الجسر ..

.. وارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يغمغم :

ـ أهنئك .. ها هو ذا الجسر .. إنك تستحق درجة ممتازة فى اختبار الجغرافيا (★) .

(★) الجغرافيا : علم وصف الأرض ، ويعنى بوصف الظواهر الطبيعية والبشرية وتحليلها ، والربط بينها ، واستخلاص قوانين عامة منها ، ولقد بدأ (اليونان) الدراسات الجغرافية ورسم الخرائط ، وبلغ هذا أوجه على يد (بطليموس) ، الذى أثّر فى الجغرافيين العرب ، أمثال (ابن خردانيه) ، و (اليعقوبى) ، و (الإدريسى) ، و (ياقوت) .

كان الجسر مزدحمًا بالسيارات ، على نحو لم يتوقَّعه قط ، ولم ينتبه إلى هذا ، حتى سار على مسافة مائتى متر منه ، فانعقد حاجباه ، وهو يقول :

ـ آه .. يبدو أنك لن تحصل على الدرجة التى كنت تتوقَّعها يا (أدهم) .

لم يكن من الممكن أبدًا أن يمضى فى طريقه بنفس السرعة ، وكان من المستحيل أيضًا أن يتوقَّف ، وإلا لحقت به سيارات الجيب الأربع ..

وهنا لم يجد (أدهم) أمامه سوى حل واحد ..

حل بالغ الغرابة ..

أو بالغ الجنون ..

وبسرعة السيارة القصوى ، انحرف (أدهم) يسارًا ، وعبر الطريق العمودى على الجسر ، وانطلق مباشرة نحو حاجز النهر ، فاتسعت عينا قائد فريق المطاردة ، وهو يقول فى دهشة :

ـ ما الذى يفعله هذا المجنون ؟

لم يكد ينطقها ، أو قبل حتى أن تكتمل حروفها ، كان (أدهم) قد ارتطم بحاجز النهر الأسمنتى ، وحطَّم بسيارته المصفَّحة ، التى تجاوزت الحاجز إلى الفراغ ، وسبحت لحظة فى الهواء ، ثم هوت كالقذيفة فى النهر ، وارتطمت به فى عنف شديد ، ثم غاصت فى أعماقه ..

وضغط قائدو سيارات (الجيب) فراملهم فى قوة ، وتوقَّفت السيارات الأربع أمام ذلك الجزء المحطَّم من الحاجز ، وقفز منها جيش صغير من الرجال ، صوَّب مدافعه الآلية إلى النهر ، وقائده يهتف :

ـ استعدوا لإطلاق النار عليه فور ظهوره .. إنه لن يستطيع البقاء تحت الماء طويلًا .

تحفَّز الرجال بمدافعهم ، وتحفَّزت سبَّاباتهم على أزندة مدافعهم ..

ولكن الدقائق راحت تمضى فى سرعة ، دون أن يظهر خصمهم على السطح ..

وكان من الواضح أن (أدهم) قد اختفى فى قاع النهر .. اختفى تمامًا ..

★ ★ ★

« ماذا تعنى بأنه اختفى ؟.. »

أطلق (ألبرتو جوانزاليس) هذا السؤال كالقذيفة ، فى وجه قائد فريق المطاردة ، وجسده كله ينتفض فى غضب وثورة ، واستطرد ووجهه يكاد ينفجر من فرط احتقانه :

ـ إنكم تطاردون رجلًا واحدًا ، فكيف ينجح فى الفرار منكم ؟

أجابه الرجل فى ضيق :

ـ لم أقل إنه قد نجح فى الفرار يا سيّدى الجنرال .. كل ما قلته هو أنه قد اختفى .

لوّح (جوانزاليس) بذراعه فى وجه الرجل ، هاتفًا :

ـ وما الفارق أيها العبقرى ؟

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، وكأنه يحاول تهدئة أعصابه المتوترة ، قبل أن يجيب :

ـ فارق ضخم يا سيادة الجنرال ، فلقد وصلنا إلى منطقة سقوط السيارة فى النهر ، بعد أقل من عشرين ثانية ، وكانت السيارة فى القاع بالفعل ، ثم حاصرنا المنطقة ، ووقفنا نترقّب صعود الرجل إلى السطح ، ولكنه ظلّ تحت الماء لربع ساعة كاملة ، وما من مخلوق حىّ يمكنه هذا ، وبعد هذا الوقت ، وصلت معدات وأوناش الانتشال ، التى تم استدعاؤها على نحو عاجل ، فور سقوط السيارة ، واستغرق رجال الضفادع البشرية نصف ساعة أخرى ، فى فحص القاع ، وانتشال السيارة ، التى كانت خالية تمامًا ، وبابها الأمامى الأيسر مفتوح ، ولم يتم العثور على جثة الجاسوس .. ومن المحتمل ، فى ظل هذه الظروف ، أنه حاول مغادرة السيارة ، ولكنه لقى مصرعه غرقًا ، قبل أن ينجح فى هذا تمامًا ، ثم حمل التيار جثته بعيدًا ، فى اتجاه مصب النهر .

عقد (جوانزاليس) حاجبيه ، وهو يستمع إليه فى انتباه ، ثم قال فى صرامة :

ـ هذا التحليل ، على الرغم من أناقته ، لن ينجح فى إقناعى .. إننى أمتلك ملفًا كاملًا عن هذا الرجل ، وشاهدت بنفسى كيف يعمل ، ومثل هذا الرجل ، لا يمكنك أن تجزم بموته ، إلا عندما ترى جثته ، وتمزّق أطرافها بنفسك .

مطّ قائد فريق المطاردة شفتيه ، وقال فى ضيق واضح :

ـ فليكن يا سيادة الجنرال .. بِمَ تأمر ؟

أجابه (جوانزاليس) فى لهجة آمرة متعالية :

ـ ضاعف الحراسة على جانبى النهر ، ولتعلن أجهزة الإعلام كلها عن إصابة الرئيس ومحاولة قتله .. أريد منشورات تحمل صورة الجاسوس فى كل شارع ، مع مكافأة ضخمة لمن يرشد عنه ، ولتتم إذاعة صورته فى التلفاز كل ساعة .

غمغم الرجل ، وهو يؤدى التحية العسكرية قبيل انصرافه :

ـ كما تأمر يا سيادة الجنرال .

ولم يكد الرجل ينصرف ، حتى قال (بوراندى) فى حنق :

ـ أريد أن يعثروا على هذا الرجل حيًا ، ويحضروه إلى هنا ؛ حتى أخنقه بيدىّ .

رمقه (جوانزاليس) بنظرة نارية ، وهو يقول :

ـ لقد كان هنا بالفعل ، فماذا فعلت به ؟

احتقن وجه (بوراندى) أكثر ، وهم بقول شيئًا ما ، عندما ارتفع رنين الهاتف الداخلى بغتة ، فالتقط (جوانزاليس) سمّاعته فى سرعة ، وهو يقول :

ـ ماذا هناك ؟

أتاه صوت أحد رجال الأمن ، قائلًا :

ـ سنيور (بدروس) هنا ، ويطلب الإذن بمقابلتك يا سيّدى الجنرال .

صاح به (جوانزاليس) :

ـ أيها الغبى .. قلت أكثر من مرة : إن سنيور (بدروس) صديق للدولة ، ويمكنه الحضور لمقابلتى فى أى وقت يشاء .. دعه يأت على الفور .

لم تمض دقائق ، حتى وصل (جون بدروس) ، وهو رجل ضخم الجثة ، أشيب الشعر تمامًا ، ضيق العينين ، يرتدى حلة فاخرة ، تشفّ عن الذوق والثراء ، ويضع فى فمه سيجارًا كوبيًا فاخرًا ، ولم يكد يلمح (جوانزاليس) ، حتى اندفعَ نحوه ، وصافحه فى حرارة شديدة ، وهو يقول :

ـ وا صديقى العزيز .. ما هذه الأخبار المفزعة التى سمعناها ؟.. ماذا حدث ؟

أجابه (جوانزاليس) فى حرارة مماثلة :

ـ كارثة يا عزيزى (بدروس) .. كارثة .. لقد أرسلت (مصر) أحد جواسيسها ، منتحلًا شخصية مندوب لوزارة الخارجية ، وعندما اجتمع به فخامة الرئيس ، فوجئنا به يستلّ مسدسًا ، ويطلق النار على الرئيس ، ثم يستغل حالة الاضطراب والبلبلة ، التى تبعت هذا ، للفرار من هنا ، قبل أن نلقى القبض عليه .

نفّس (بدروس) دخان سيجاره ، وهو يقول :

ـ عجبًا !.. لم تُقدم (مصر) فى تاريخها كله ، على اغتيال شخص ما بهذه الوسيلة العجيبة ، ثم إنه لا يوجد داعٍ اقتصادى أو سياسى ، للقيام بمثل هذا العمل العجيب .

قال (جوانزاليس) :

ـ ولكننا نمتلك الأدلة على كل هذا يا عزيزى (بدروس) .. لدينا الأوراق الرسمية ، التى وصل بها ذلك الجاسوس إلى هنا ، والتى تؤكّد أنه مندوب لوزارة الخارجية المصرية ، ثم ملفه الخاص ، الذى يثبت أنه رجل مخابرات مصرى ، كما أن مسدسه يحمل بصماته ، ولدينا تسجيل له ، وهو ينتحل شخصية الرئيس .. صدقنى يا رجل .. كل شىء رسمى ومؤيّد بكل الأدلة الممكنة ، وسترى بنفسك قاضى التحقيقات ، وهو يبدأ عمله هنا ، ويثبت أن ذلك الجاسوس هو قاتل الرئيس .

عقد (بدروس) حاجبيه بعض الوقت، ثم قال:

ـ وهل لقى الرئيس مصرعه ؟.. لقد شاهدت، فى أثناء وصولى إلى هنا، سيارة إسعاف تنطلق مسرعة، إلى المستشفى المركزى، وحولها حراسة ورجال أمن الرئيس.

طفا الضيق إلى نبرات (جوانزاليس)، على الرغم من محاولته لكتمانه فى أعماقه، وهو يجيب:

ـ من حسن الحظ أن رئيسنا المحبوب قد نجا من الاعتداء، ولكن إصابته بالغة، وحالته سيئة للغاية، ولقد بذل الفريق الطبى للقصر قصارى جهده لإسعافه، ثم نقلوه إلى جناحه الخاص، فى المستشفى المركزى، تحت حراسة مشدّدة.

نفث (بدروس) دخان سيجاره مرة أخرى، قبل أن يسأل فى حذر:

ـ وهل سينجو ؟

هزّ (جوانزاليس) رأسه، وغمغم:

ـ نتعشم هذا.

مطّ (بدروس) شفتيه، وبدا وكأنه يمضغ طرف سيجاره، وهو يقول:

ـ اصدقنى القول يا جنرال.. هل يمكنكم الإيقاع بهذا الجاسوس ؟

اتسعت ابتسامة (جوانزاليس)، وعقد كفيه خلف ظهره، وشدّ قامته فى اعتداد، وهو يجيب:

ـ يا له من سؤال !.. إنه رجل واحد، فى مواجهة دولة كاملة يا رجل.. ألم تتضح لك الصورة بعد ؟!.. هذا الجاسوس المصرى فى مأزق شديد، لا مخرج له.. صدقنى.. ليس لديه أدنى أمل.

ولم يكن (جوانزاليس) مبالغًا فى قوله هذا..

إن (أدهم) فى مأزق حقيقى..

أكبر مأزق فى حياته كلها..

وأكثرها خطورة.

★ ★ ★



٥ ـ الخطر..

لم تكن عقارب الساعة قد بلغت الخامسة صباحًا بعد، عندما وصلت سيارة مدير المخابرات العامة المصرية إلى المبنى الرئيسى، فى (حدائق القبة)، وتجاوز البوّابة بسيارته فى شىء من التوتر، ولم يكد يوقفها فى ساحة الانتظار الخاصة، حتى اندفع نحوه أحد رجاله، وهو يقول فى توتر ملحوظ:

ـ معذرة لإيقاظك فى هذه الساعة المبكّرة يا سيّدى، ولكن الأمر عاجل وخطير للغاية، وتعليماتك تمنعنا من شرح مثل هذه الأمور هاتفيًا.

غادر مدير المخابرات سيارته، وهو يسأله فى اهتمام:

ـ ما الذى حدث بالضبط ؟

أجابه الرجل فى سرعة:

ـ جرت محاولة لاغتيال الرئيس (بونزا كورتينا) فى (باراجواى)، وهو فى حالة بالغة الخطورة، ولم يتحدّد مصيره بعد.

بُهت مدير المخابرات، وهو يقول:

ـ ماذا ؟!.. إذن فقد فشل (أدهم) فى مهمته لأوّل مرة.

ازدرد الرجل لعابه، وهو يسير مع المدير نحو المبنى الصامت، ثم قال فى صوت خافت متوتر:

ـ للأسف يا سيّدى.. أعتقد أن الأمر أسوأ من ذلك بكثير.

توقّف المدير دفعة واحدة، وهتف:

ـ هات ما لديك يا رجل، ولا تثر أعصابى أكثر من هذا.

التقط الرجل نفسًا عميقًا، ثم أجاب فى حسم:

ـ مدير المخابرات (ألبرتو جوانزاليس) اتهم (أدهم) بتنفيذ محاولة الاغتيال هذه، بتدبير مسبق من المخابرات المصرية، وأعلن أن لديه أدلة لاتقبل الشك، لتأكيد اتهامه، وكل وسائل الإعلام، فى طول (باراجواى) وعرضها تذيع أوصاف (أدهم) وصورته، وتصفه بأنه الجاسوس المصرى، الذى أرسلناه لاغتيال الرئيس.

التقى حاجبا المدير، وبدا وكأن هذه الأخبار قد أصابته بصدمة شديدة، وهو يحدّق فى وجه الرجل، قبل أن يغمغم:

ـ ربّاه !!.. لقد أدار (جوانزاليس) اللعبة فى دهاء شديد.

ثم اندفع نحو المبنى، مستطردًا:

ـ كان ينبغى أن أتوقّع هذا.

سأله الرجل ، وهما يستقلّان المصعد إلى حيث مكتب المدير :
ـ من الواضح أن موقفنا حرج للغاية يا سيِّدى .. ما الذى يمكننا أن نفعله ؟
صمت المدير لحظات ، وهو يفكِّر فى عمق ، ثم قال :
ـ هل أرسلتم تقريرًا بهذا للسيِّد رئيس الوزراء ؟
أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ نعم يا سيِّدى .. لقد أرسلنا تقريرًا عاجلًا للسيِّد رئيس الجمهورية ، وآخر للسيِّد رئيس الوزراء ، ثم إن الخبر يذاع بالفعل ، عبر وكالات الأنباء .
مطَّ المدير شفتيه ، وغمغم :
ـ إذن فقد اشتعلت الدنيا ، قبل أن نخطو خطوة واحدة .
وهزَّ رأسه لحظات ، ثم اعتدل قائلًا فى حزم :
ـ فليكن .. سنوقظ الجميع .. أريد اجتماعًا عاجلًا وفوريًا ، لكل المشرفين على العمليات الخارجية ، وكل ضباط الحالة (★) ، الذى يتابعون عمليات (أمريكا الجنوبية) .

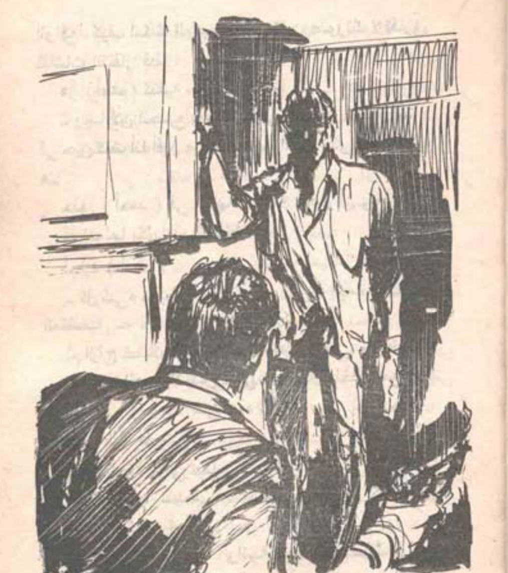
(★) ضابط الحالة : هو رجل المخابرات ، المسئول عن عملية بعينها ، فهو يتابع كل خطوة ، ويدرس كل تصرُّف وكل معلومة ، مع فريق من الخبراء ، ثم يصدر الأوامر الخاصة بالتحركات القادمة ، وأساليب المناورة وخداع الخصم .

أجابه الرجل فى حماس ، عند باب مكتبه :
ـ كما تأمر يا سيِّدى .
وأسرع لتنفيذ الأوامر ، فى حين عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وقال فى صرامة حاسمة :
ـ دعنا نثبت لهم أنهم أخطئوا كثيرًا ، عندما وقع اختيارهم علينا بالذات ، فى عملية قذرة كهذه .. وربما كان هذا من سوء حظهم .
وعندما دخل مكتبه ، كان ذهنه قد استقرّ على قرار مناسب لهذا الموقف ..
قرار قد يتسبَّب فى إشعال حرب مخابرات جديدة ، فى قلب (أمريكا الجنوبية) ..
حرب بلا هوادة ..

★ ★ ★

جلس (أحمد نادر) ، مندوب المخابرات المصرية فى (باراجواى) ، يتابع فى توتر تلك النشرات المتوالية ، التى تحمل صورة (أدهم) ، عبر كل قنوات البث التليفزيونى ، وتعلن أنه جاسوس مصرى ، أطلق النار على الرئيس (بونزا) ، وتطالب المواطنين بالإبلاغ عنه فور رؤيته ، وتعد من يفعل بمكافأة مالية مغرية ، وسجَّل (أحمد) بعض هذه النشرات ، على شرائط الفيديو ، وهو يتمتم فى مرارة :

ـ أعلم أنك برىء من كل هذا يا (أدهم) ، فمثلك لا يأتى مثل هذه الأعمال القذرة .. ثم إننا لا نلجأ قط لمثل هذه الاغتيالات الحقيرة .
قفز من مكانه ، عندما ارتفع من خلفه صوت هادئ ، يقول :
ـ أشكر لك هذه الثقة الغالية يا صديقى .
استلّ (أحمد) مسدسه ، وهو يدور حول نفسه فى سرعة ، وصوَّب فوهته إلى صاحب الصوت ، الذى ابتسم مستطردًا :
ـ أنت أيضًا ستطلق النار .
اتسعت عينا (أحمد) فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :
ـ (أدهم) ؟!.. مستحيل !
كان (أدهم) يقف أمامه فى هيئة زرية للغاية ، بقميصه وسرواله المبتلين ، وخصلات شعره الملتصقة بجبينه ، وقدميه العاريتين ، وعلى الرغم من هذا فلم تفارق الابتسامة شفتيه ، وهو يقول :
ـ هل تدهشك رؤيتى إلى هذا الحد ؟
أعاد (أحمد) مسدسه إلى سترته ، وهو يقول :
ـ تدهشنى ؟!.. بل قل : إنها تذهلنى يا رجل !!.. ألم تتابع ما يقولونه عنك طوال الوقت ؟!.. إننى أتساءل فى


كان (أدهم) يقف أمامه فى هيئة زرية للغاية ، بقميصه وسرواله المبتلين ، وخصلات شعره الملتصقة بجبينه ..

الواقع ، كيف أمكنك الوصول إلى هنا ، وصورتك لا تفارق شاشات التلفاز قط؟!

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال مبتسمًا :

ـ ربّما لأن الجميع يبحثون عنى فى النهر والطرقات ، فى حين كنت أنا أقفز من سطح إلى آخر ، حتى وصلت إلى هنا .

حدّق (أحمد) فى وجهه بدهشة ، قبل أن يهتف :

ـ أتقولها بكل هذه البساطة ؟!

أجابه (أدهم) :

ـ كل شىء بسيط يا صديقى ، لو نظرت إليه من الجانب المناسب .

ثم أزاح خصلات شعره المبتلّة عن جبينه ، مستطردًا :

ـ دعنى أنعم أوّلًا بدش دافئ ، ووجبة ساخنة ، مع قدح من الشاى ، وسأرقد على هذه الأريكة ، فى ثياب جافة ، وأقصّ عليك كل شىء .

قال (أحمد) فى حماس :

ـ بالطبع يا صديقى .. بالطبع .. منزلى كله رهن إشارتك ، وثيابى أيضًا .

لوّح له (أدهم) بيده ، واتجه إلى الحمام مباشرة ، فى حين جلس (أحمد) أمام شاشة التلفاز مبهوتًا ، وهو يغمغم :

ـ يا للعجب !.. لقد فعلها (أدهم) ثانية .. يا له من رجل !

كان البرنامج الإخبارى على الشاشة ، ينقل لقاءً مع أحد رجال الأمن ، الذى قصّ حادثة سقوط (أدهم) مع سيارة (جوانزاليس) فى قاع النهر ، وعدم صعوده مرة ثانية ، فارتفع حاجبا (أحمد) فى دهشة ، وهتف :

ـ كيف نجوت من تلك السيارة إذن ؟

أتاه صوت (أدهم) ، من خلف باب الحمام ، ممتزجًا بصوت المياه المنهمرة من الدش ، وهو يقول :

ـ لا تتعجّل .. سأروى لك كل شىء .

ولكن (أحمد) بذل جهدًا خرافيًا ، للسيطرة على لهفته وطموحه ، حتى انتهى (أدهم) من حمامه ، وتناول وجبته ، وبدأ يرتشف قدح الشاى فى استمتاع ، فهتف به :

ـ ألن تخبرنى بما حدث ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء عجيب ، لا يتفق مع الموقف :

ـ حدث أن مدير مخابرات (باراجواى) نجح فى خداعنا جميعًا ، ونفّذ خُطة شيطانية رهيبة ، فأطلق النار على الرئيس (بونزا) ، واتهمنا نحن بقتله .

هتف (أحمد) مبهورًا :

ـ (جوانزاليس) فعلها ؟!

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال فى صرامة :

ـ ويحاول أن يرسل فاتورة القتل إلينا .

قال (أحمد) فى اهتمام :

ـ ولكن الرئيس (بونزا) لم يلق مصرعه .. لقد أعلنوا الآن أنه نجا من الموت بأعجوبة ، بعد أن نجح فريق الأطباء فى استخراج الرصاصة من صدره ، على بعد سنتيمترات من قلبه ، وهو يرقد الآن فى حجرة العناية المركّزة ، حتى يستعيد وعيه ، وحوله حراسة مكثّفة .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ حراسة من رجال (جوانزاليس) بالطبع .

ثم هبّ من مقعده ، مستطردًا فى حزم :

ـ لقد فعلوا كما نقول فى (مصر) .. سلّموا مفاتيح الحظيرة للقط .. أتمنى أن تكون لديك حلة مناسبة لى يا صديقى .

سأله (أحمد) فى اهتمام :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟!

أجابه (أدهم) بسرعة :

ـ سأحاول إنقاذ الرئيس .

قال (أحمد) فى دهشة :

ـ تنقذه ؟!

أجابه (أدهم) فى اهتمام وحزم :

ـ بالطبع .. نجاة الرئيس (بونزا) هى الأمل الوحيد ، فى إثبات أن (مصر) بريئة من تلك التهمة ، التى ألصقوها بها ، وأن (جوانزاليس) هو ذلك القاتل الحقير ، الذى أطلق النار على الرئيس .. وذلك الأخير أيضًا يعلم هذا .. يعلم أن نجاة الرئيس تعنى نهايته ، لذا فلن يخاطر بإبقاء الرئيس على قيد الحياة ، وسيسعى لقتله الليلة ، قبل أن يستعيد وعيه ، ويروى ما لديه .

سأله (أحمد) ، وهو يفتح درجًا سريًا ، ويلتقط منه مسدسًا آليًا ، ويناوله إياه :

ـ وماذا تنوى أن تفعل ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، والتقط المسدس فى بساطة ، وهو يقول :

ـ كما أخبرتك من قبل يا صديقى .. سأحاول إنقاذ الرئيس .

هتف (أحمد) :

ـ بهذه البساطة ؟!.. وماذا عن الحراسة ، ووجهك المألوف للجميع ، و ...

قاطعه (أدهم) فى حسم :

ـ دع لى كل المشكلات ، وأحضر لى حلة جافة فحسب .

قال (أحمد) :
ـ سأذهب معك إذن .
استوقفه (أدهم) بإشارة صارمة ، وهو يقول :
ـ كلّا .. لن نغامر بفضح أمرك بلا مبرّر .. مهمتك هنا تقتصر على متابعة الموقف ، ونشاط أجهزة المخابرات الأخرى ، وأنت ناجح تمامًا فى هذا ، ولن تفسد نجاحك بسبب انفعال عاطفى .
سأله (أحمد) فى قلق :
ـ وهل ستذهب وحدك ؟
أجابه (أدهم) :
ـ نعم .. هذا أفضل .
وصمت لحظات ، بدا خلالها تأثّر واضح على ملامحه ، التى لم تلبث أن استعادت حزمها ، وهو يستطرد :
ـ المهم الآن أن تبلغ (القاهرة) أننى بخير ، وأن (جوانزاليس) خدعنا جميعًا ، وأخبرهم أننى سأواصل المهمة حتى النهاية .
سأله (أحمد) قلقًا :
ـ ألن تنتظر أوامرهم ؟
صمت (أدهم) لحظة أخرى ، ثم أجاب فى حزم :
ـ أبلغهم هذا فحسب .. وسيفهمون .

قالها واختفى داخل حجرة (أحمد) ، ليبحث عن حلة جافة ، و ...
وليبدأ حربه الخاصة ..

★ ★ ★

« من الضرورى أن يموت هذا الرجل الليلة .. » .
ضرب (جوانزاليس) سطح مكتبه فى قوة ، وهو يلقى هذه العبارة فى وجه حارسه الخاص (بوراندى) ، وتابع فى عصبية شديدة :
ـ لقد أخبرنى أحدهم أنه نطق اسمى ، أمام أطباء القصر ، ومن حسن الحظ أن هؤلاء الأغبياء تصوّروا أنه يوصى بى لخلافته .. من يضمن لى أنه لن يهذى بالقصة كلها هناك ، فى ذلك المستشفى اللعين ؟
غمغم (بوراندى) :
ـ ومن سيصدق هذيان رجل يرقد فى غيبوبة ؟
صاح (جوانزاليس) :
ـ إنه لن يرقد فيها للأبد .. الأطباء قدّروا أنه سيستعيد وعيه بعد ثمان وأربعين ساعة على الأكثر ، وأنهم يستطيعون التحدّث إليه بعد ساعتين من استعادته لوعيه ، أى أنه أمامنا خمسون ساعة فحسب ، قبل أن ينقلب مخططنا كله رأسًا على عقب .

مطّ (بوراندى) شفتيه لحظات ، قبل أن يقول :
ـ قل لى يا سيّدى : ألا يمكننا تنفيذ كل شىء ، قبل أن يستعيد الرئيس وعيه ؟!.. أعنى أن نحتل مبنى الإذاعة والتليفزيون ، ونسيطر على قوات الشرطة ، و ...
قاطعه (جوانزاليس) فى حدة :
ـ وهل تصوّرت أننى أفعل كل هذا ، لو أنه فى مقدورى احتلال المبانى والسيطرة على القوات ؟!.. أيها الغبى الحقير .. ألم تدرك قط أن الجيش والشرطة يدينان بالولاء والحب لذلك الغبى (بونزا) ؟!.. لقد سحرهم هذا المأفون ، وأصبح من المستحيل انتزاعه من مقعده بالقوة ، والوسيلة الوحيدة للفوز بالسلطة ، هى ما فعلته أنا .. أن يغتاله جاسوس أجنبى ، وأصعد أنا إلى مقعد الحكم كإجراء طبيعى .
تمتم (بوراندى) :
ـ عقلى لن يبلغ ذرة من عبقريتك يا سيّدى .
لوّح (جوانزاليس) بذراعه فى حنق ، وهتف :
ـ وعلى الرغم من هذا فقد ارتكبت أكبر خطأ فى حياتى كلها ، عندما أطلقت النار على صدر (بونزا) ، وليس على رأسه .

مال (بوراندى) نحوه ، وقال فى حزم :
ـ لكل مشكلة حل يا سيّدى .. الرئيس يرقد الآن فى حجرة العناية المركّزة فى المستشفى ، وكل القائمين على حراسته من رجالنا .. سأذهب إلى هناك الآن ، وأقضى عليه تمامًا .. أيرضيك هذا ؟
مطّ (جوانزاليس) شفتيه ، وقال :
ـ المفروض أن يبدو الأمر كحادث .
أومأ (بوراندى) برأسه ، وقال :
ـ سيبدو هكذا .
التقط (جوانزاليس) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :
ـ لا بأس .. اذهب إذن .
ارتسمت ابتسامة جذل على شفتى (بوراندى) ، وهو يقول :
ـ أوامرك يا سيّدى .
ولم تفارقه ابتسامته هذه قط ، وهو يغادر القصر الجمهورى ، ويستقل سيارته الكبيرة إلى المستشفى المركزى ، ولا وهو يعبر بوّابة المستشفى ، حتى أن أحد الأطباء سأل زميله فى حيرة :
ـ قل لى : ألا يبدو لك هذا الفيل سعيدًا بما أصاب الرئيس ؟

ألقى زميله نظرة سريعة على (بوراندى) وابتسامته ، ثم هزَّ رأسه ، وقال فى لا مبالاة :

ـ هذا النوع من الخنازير البشرية لا يعرف الانفعالات والعواطف .. أراهنك على أن تلك الابتسامة ملتصقة بوجهه دائمًا .. إنها جزء من عمله .

ابتسم الأوّل ، وهو يقول :

ـ أنت على حق .

وتجاوزهما (بوراندى) ، دون أن يسمع حرفًا واحدًا مما تبادلاه ، واستقلّ المصعد إلى الطابق الثالث ، حيث حجرة العناية المركَّزة الخاصة بالرئيس ، وعندما بلغ المكان ، استقبله اثنان من رجال الحراسة ، بمدفعيهما الآليين ، فسألهما بصوته الأجش :

ـ هل يسير كل شىء على ما يرام ؟

أجابه أحدهما بسرعة :

ـ نعم يا سيِّدى .. كل شىء يسير على ما يرام .

أومأ برأسه بلا معنى ، ثم اتجه مباشرة إلى حجرة الرئيس ، وأشار لحارسيها فى صرامة :

ـ اخرجا .

غادر الرجلان الحجرة فى سرعة ، وأغلقا بابها خلفهما ، فتطلَّع هو لحظة إلى الرئيس ، ثم ابتسم ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

ـ هنا تنتهى رحلتك يا فخامة الرئيس .

ومدّ يده بكل هدوء ، وأغلق أسطوانة الهواء .

وبدأ الرئيس يختنق ..

ويختنق ..

ويختنق ..

★ ★ ★



٦ ـ جريمة مستشفى ..

احتقن وجه رئيس الوزراء فى شدة ، وهو يدلف إلى حجرة مدير المخابرات ، ويقول فى عصبية شديدة :

ـ أرأيت ما حدث ؟.. أرأيت ما فعله بنا (أدهم) هذا ؟

نهض مدير المخابرات يستقبل رئيس الوزراء فى هدوء ، وهو يقول :

ـ رويدك يا سيادة رئيس الوزراء .. رجلنا (أدهم صبرى) لم يفعل شيئًا ، سوى ما تلقَّى أوامركم بشأنه .

لوَّح رئيس الوزراء بذراعه فى حدة ، وهو يقول :

ـ أية أوامر هذه ؟.. أسمعتنى آمره بقتل رئيس (باراجواى) ؟

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول :

ـ (أدهم) لم يقتل أحدًا دون مبرِّر ، منذ التحق بالقوات الخاصة المصرية (★) ، وهو ليس بقاتل .

ازداد احتقان وجه رئيس الوزراء ، وهو يقول :

ـ بِمَ تفسر ما حدث إذن ؟

(★) راجع قصة (الخطوة الأولى) مغامرة رقم (٣١) .

قال المدير فى اهتمام :

ـ أعتقد أن التفسير واضح للغاية .. لقد دبَّر (جوانزاليس) العملية كلها ، وقرَّر أن يقتل الرئيس (بونزا) ، ويلصق بنا هذه التهمة .

قال رئيس الوزراء فى حنق :

ـ ولماذا نحن بالذات ؟

هزَّ المدير كتفيه ، وقال :

ـ من يدرى لماذا ؟!.. ربما يستعين (جوانزاليس) بمستشار أمنى إسرائيلى .

سأله رئيس الوزراء فى قلق :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

ثم امتزج قلقه بالكثير من التوتر ، وهو يستطرد :

ـ أيًا كانت الأسباب والمبرِّرات ، فقد وضعنا (جوانزاليس) فى صورة ردينة للغاية ، وسيتهمنا العالم أجمع بأننا دولة إرهابية ، تُقحم نفسها فى الشئون الداخلية للدول الأخرى ، ويصل بها الأمر إلى حد اغتيال الرؤساء .

والتفت إلى المدير ، مردفًا :

ـ أتعتقد أنه يوجد حل لمثل هذا المأزق ؟

أجابه المدير على الفور ، وهو يومئ برأسه إيجابًا :

ـ يوجد أكثر من حل .

هتف رئيس الوزراء فى لهفة :
ـ حقًا ؟!
عاد مدير المخابرات يومئ برأسه ، قبل أن يقول :
ـ نعم .. يمكننا مثلًا أن نتنصَّل من الموقف كله ، ونعلن أن (أدهم) قد ارتكب هذا الفعل بمبادرة فردية ، وليس بأمر مباشر ، وثق بأن (أدهم) لن يحاول تكذيب قولنا هذا قط .
هزَّ رئيس الوزراء رأسه نفيًا فى قوة ، وهو يقول :
ـ لا يمكننا أن نفعل هذا بأحد رجالنا .
ابتسمَ مدير المخابرات فى ارتياح ، وهو يقول :
ـ عظيم .. هذا ما كنت أتمنى سماعه .
ثم مال نحو رئيس الوزراء ، مستطردًا :
ـ فى هذه الحالة يمكننا أن نلجأ إلى الحل البديل .
عاد رئيس الوزراء يسأله فى لهفة أكثر :
ـ وما هو ؟
بدا لحظة أن مدير المخابرات يهم بشرح ما لديه ، إلا أنه لم يلبث أن عقد حاجبيه فجأة ، عندما ارتفع من الجهاز المجاور لمكتبه أزيز خاص ، ثم برزت منه ورقة مطبوعة ، التقطها المدير فى سرعة ، وراح يقرأ ما بها فى اهتمام شديد ، جعل رئيس الوزراء يسأله :
ـ ماذا هناك ؟

أجابه المدير :
ـ إنها برقية بالشفرة من (باراجواى) ، انتهى قسم الشفرة من ترجمتها الآن .
قفزت لهفة رئيس الوزراء إلى ذروتها ، وهو يسأل :
ـ وماذا تقول ؟
أجاب مدير المخابرات :
ـ تقول إن (أدهم) بخير ، وإنه حرّ ، و (جوانزاليس) هو الذى دبَّر العملية كلها ، و ...
بتر المدير عبارته بغتة ، وبرقت عيناه فى انفعال ، قبل أن يستطرد فى لهجة تموج بالحماس :
ـ ها هو ذا الحل البديل يفرض نفسه .
ثم رفع عينيه إلى رئيس الوزراء ، مستطردًا :
ـ (أدهم) قرَّر أن يمضى فى المهمة حتى النهاية .
وابتسم فى ارتياح ، قبل أن يضيف :
ـ وأعتقد أن هذا كفيل بقلب الموازين .. كل الموازين .

★ ★ ★

لم يكد (بوراندى) يدخل حجرة العناية المركَّزة الخاصة بالرئيس ، حتى أضيء مصباح لافتة المصعد مرة ثانية ، معلنًا وصول زائر آخر ، فرفع الحرَّاس الأربعة مدافعهم الآلية فى تحفّز ، وقال أحدهم :
ـ تُرى من القادم الآن ؟

أجابه زميله فى حزم :
ـ انتظر وسترى .
لم تمض ثوان ، حتى توقّف المصعد ، وغادره طبيب كهل ، أشيب الشعر ، كث الشارب ، ألقى عليهم نظرة سريعة ، قبل أن يسعل مغمغمًا :
ـ ما هذا بالضبط ؟.. لجنة استقبال ؟!
أجابه أحد الحراس الأربعة فى خشونة :
ـ هذا يتوقف على موقفك يا هذا ، فإما أن تكون لجنة استقبال ، أو كتيبة إعدام .
ابتسم الطبيب الكهل فى سخرية ، وهو يقول :
ـ هكذا ؟!.. من الواضح أنكم تشاهدون العديد من الأفلام الإيطالية الرديئة .. هيّا .. اخفضوا فوهات أسلحتكم هذه ، وأفسحوا لى الطريق ، فأنا هنا لفحص الرئيس .
عقد أحدهم حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :
ـ هل تحمل تصريحًا بهذا ؟
هتف الطبيب فى غضب :
ـ أى تصريح يا هذا ؟!.. أنا لم أطلب الحضور إلى هنا .. أنتم استدعيتمونى لفحص الرئيس ، وطلبتم حضورى على الفور .. لقد أغلقت عيادتى الخاصة لأفعل هذا ، ثم تطالبوننى بتصريح .
وأزاح أحدهم عن طريقه ، مستطردًا :

ـ هيّا .. أفسحوا الطريق .. لن أقف هنا طوال الليل .
صاح الرجل فى صرامة :
ـ لن تخدعنا بهذه السخافات يا هذا .. لقد توقّعوا حضورك ، وحذرونا من براعتك فى التنكّر .
وارتفعت فوهات المدافع بسرعة فى وجه الطبيب ، الذى تراجع هاتفًا :
ـ ماذا أصابكم .. ألا تعرفوننى ؟!.. أنا الدكتور (فردريك داردنى) .. أعظم أطباء القلب فى (باراجواى) .
امتدّت يد أحدهم لتجذب شاربه فى قوة ، وهو يقول ساخرًا :
ـ حقًا .. لم لا ترينا ما تخفيه خلف عش العصافير هذا إذن ؟
أطلق الطبيب صرخة ألم ، عندما جذب الرجل شاربه ، وصاح :
ـ هذا جنون .. جنون بغيض .
تراجع الرجال فى دهشة ، وهتف أحدهم :
ـ إنه الطبيب بالفعل .
ولم يكد يتم قوله ، حتى دوى فى المكان صوت رصاصات ..
وتكهرب الموقف كله ..

★ ★ ★

لو عدنا بالأحداث خمس دقائق فحسب ، وانتقلنا بالمشهد إلى حجرة العناية المركّزه ، فى نفس اللحظة التى أغلق فيها (بوراندى) صمام أسطوانة الأكسجين ، لسمعنا من خلفه صوتًا يقول فى صرامة :

ـ هل تعتقد أن هذا سيفلح ؟

استدار (بوراندى) فى سرعة كبيرة ، على الرغم من ضخامته ، وامتدّت يده بسرعة لانتزاع مسدسه ، ولكنه فوجئ برجل يقف عند النافذة نصف المفتوحة ، ويصوِّب إليه مسدسًا آليًا ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة ، اختفى معظمها تحت شاربه الضخم ، فهتف (بوراندى) :

ـ من أنت ؟ وكيف تجاوزت الحراسة كلها ، ووصلت إلى هنا ؟

أجابه الرجل فى سخرية ، وهو يقفز داخل الحجرة ، ويعيد إغلاق النافذة خلفه :

ـ حاول أن تقنع عقلك الغليظ بالعمل ، بعد طول رقاد ، واستنتج كيف فعلت هذا .. هل أمتلك القدرة على الطيران، مثل العصافير ، أم أنكم نسيتم وضع حراسة كافية على السطح ؟

ارتفع حاجبا (بوراندى) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ يا للشيطان !.. هذا الصوت .. أنا أعرفه .

انتزع (أدهم) شاربه الضخم المستعار ، وهو يقول ساخرًا :

ـ رائع .. عظيم .. لقد تعرَّفت صوتى .. هل رأيت كم يفيد التفكير ؟

ثم تحرَّك فى خفة ، وأعاد فتح أسطوانة الأكسجين ، مستطردًا :

ـ معذرة ، ولكننى أهوى دائمًا إفساد أعمال الأوغاد .

قال (بوراندى) فى حدة :

ـ لو تصوَّرت أنك ستنجو من هنا ، كما فعلت فى القصر ، فأنت واهم وسخيف ، لأنه هناك أربعة رجال أشداء فى الخارج ، يمكنهم قتل قطيع من الجاموس الوحشى ، لو أنهم فقط شكّوا فى أمره .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

ـ يؤسفنى أن أحدهم لا يعيرك أدنى اهتمام الآن أيها الوغد ، فقد شغلتهم باستدعاء طبيب كبير ، سيشكّون حتمًا فى أمره ، ويحيطون به ، ويحاولون استجوابه ، وفى هذه الأثناء ...

وثب (بوراندى) نحوه بغتة ، قبل أن يتم عبارته ، وهو يهتف فى غضب :

ـ أكون قد كسرت عنقك .

كانت انقضاضته مباغتة بالفعل ، حتى أنه نجح فى القبض على معصم (أدهم) فى سرعة ، وانتزاع المسدس منه ، وهو يواصل :

ـ هل رأيت ؟.. أنت لست الرجل الخارق ، كما كنت تظن .

ولكن (أدهم) هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، قائلًا :

ـ وأنت لست زعيم الأفيال ، كما يبدو من هيئتك .

كانت اللكمة كافية لتحطيم فك ثور ، ولكن (بوراندى) أطلق خوارًا عجيبًا ، أعقبه بزمجرة مخيفة ، وهو يغوص بقبضته فى معدة (أدهم) ، الذى شعر وكأن مطرقة أصابته فى قسوة ، ثم شعر بالحارس الضخم يحمله إلى أعلى ، هاتفًا :

ـ الوداع أيها المصرى .

ثم ألقاه بكل قوته نحو النافذة ..

إلا أن مرونة (أدهم) ورشاقته كانتا مذهلتين بالفعل ، فقد انثنى بجسده فى سرعة ، وقبض على ياقة (بوراندى) ، فأوقف هذا اندفاع جسده نحو النافذة ، وجعله يسقط إلى الأمام ، فاستغل زاوية السقوط ، وركل الضخم فى معدته ، ثم هوى على عنقه بضربة ساحقة ..

وسقط (بوراندى) على الأرض اللامعة ، وانزلق فوقها لحظات ، حتى ارتطم بفراش الرئيس ، ووقع بصره على مسدس (أدهم) الآلى ، على بعد خطوة واحدة منه ، فوثب يختطفه ، هاتفًا :

ـ انتهى أمرك أيها المصرى .

ورفع المسدس نحو (أدهم) ، وضغط زناده ..

وانطلقت الرصاصات القاتلة ..

★ ★ ★

من حسن حظ (أدهم) أن كل خصومه ، أو معظمهم ، يميلون إلى الأساليب المسرحية فى التعامل ، فلو أن (بوراندى) التقط المسدس ، وأطلق النار مباشرة ، لكان من المحتمل أن ينال من (أدهم) ، إلا أن الجملة التى أصرّ على نطقها أولًا ، حفزت عقل (أدهم) وعضلاته ، فوثب يمينًا ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها الضخم رصاصاته ، التى دوت فى المكان ، وجذبت انتباه الحرّاس الأربعة ، ودفعتهم للانقضاض على الحجرة بمدافعهم الآلية ..

وعلى الرغم من وثبته المرنة ، شعر (أدهم) بألم فى ذراعه اليسرى ، وأدرك أن الضخم قد نجح فى إصابتها ، ولكنه تجاهل هذا الألم ، وقفز إلى الأمام ، ثم ارتفع جسده

عن الأرض ، وتحرّكت قدماه فى آن واحد ، وبتناسق مدهش للغاية ، فركلت اليسرى المسدس من يد (بوراندى) ، وأصابت اليمنى وجهه بضربة عنيفة ، ألقته مترين إلى الخلف ، فارتطم بالجدار ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها الرجال الأربعة الحجرة ..

وفى واحدة من المرات النادرة فى حياته ، تحرّك عقل (بوراندى) ، ودرس الموقف بسرعة ، ووجد أن أفضل ما يمكن فعله ، فى هذه اللحظة ، هو أن يقتل الرئيس و (أدهم) معًا ، ثم يعلن أن الأخير هو المسئول عن مصرع الأوّل ، و ...

وقفزت الفكرة من رأس (بوراندى) إلى لسانه بغتة ، وهو يصرخ :

ـ اقتلوا الاثنين .. الرجل والرئيس .

تحرّكت فوهتا مدفعين آليين نحو (أدهم) ، ومالت الأخريان نحو الرئيس ، فهتف (أدهم) ، وهو يلقى نفسه أرضًا :

ـ ليس بهذه السهولة .

وقبل أن يضغط أحدهم على زناد مدفعه ، كان (أدهم) قد التقط مسدسه الآلى من الأرض ، ودار حول نفسه فى سرعة ، وأطلق النار على مدفعى الرجلين ، الذين يصوّبان

نحو الرئيس ، متجاهلًا الآخرين ، الذين أدارا مدفعيهما نحوه و (بوراندى) يصرخ :

ـ اقتلاه .. اقتلاه .

تحرّك (أدهم) فى سرعة ، ليطلق النار نحو الآخرين ، ولكن ماسورة مسدسه ارتطمت بأحد قوائم فراش الرئيس ، و ...

وانطلقت الرصاصات ..

وكان دوى الرصاصات ، المنطلقة من المدافع الآلية مزعجًا ومخيفًا ، وهو يتردّد فى المستشفى كله ، وتصوّر (أدهم) لحظة أنها النهاية ، ولكنه فوجئ بالرجلين اللذين يهددانه يسقطان أرضًا ، وسط بركة من دمائهما ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها ثلاثة من المقنعين داخل الحجرة ، فى ثياب سوداء فضفاضة ، مع أحزمة سوداء عريضة ، وكل منهم يحمل مدفعًا آليًا صغيرًا .

وكان مشهدًا مدهشًا ، أشبه بأحد أفلام (النينجا) الأمريكية اليابانية (*) ، وخاصة عندما هتف (بوراندى) :

(*) النينجا : مقاتلون خرافيون ، المفروض فيهم إجادة كل أنواع القتال ، وكل وسائل الصراع ، واستخدام الأسلحة ذات الطابع الخاص ، مثل السيوف والنجوم القاتلة وغيرها ، وهذا النوع من القتال مسرحى أكثر منه واقعى ، ولا توجد فرق أو تدريبات خاصة للنينجا ، وإن أوحت الفكرة بتحويل هذا النوع من القتال الخيالى إلى واقع ، يسعى البعض إلى تحقيقه .

ـ ما هذا بالضبط ؟.. مسرح هزلى ؟

ولكن أحد الرجال الثلاثة وثب نحوه ، وهو يطلق صيحة قتالية مخيفة ، وهوى على رأسه بكعب مدفعه ، فتفجّرت منه الدماء ، وسقط الضخم فاقد الوعى ، فتراجع الحارسان الآخران فى ذعر ، وهما يستسلمان هاتفين :

ـ لا .. لا تطلقوا النار .. إننا نستسلم .

اكتفى أحد المقنعين الثلاثة بتصويب مدفعه إلى الرجلين ، فى حين اتّجه الآخران فى سرعة نحو فراش الرئيس ، فهتف (أدهم) ، وهو يهبّ واقفًا ، ويصوّب مسدسه إلى الجميع :

ـ مهلًا .. يبدو أنكم نسيتم وجودى .

استدار إليه الرجلان فى سرعة ، دون أن ينطق أحدهم حرفًا واحدًا ، ثم دوى صوت تحطم زجاج بغتة ، من خلف (أدهم) ، وهوت ضربة قوية على مؤخرة عنقه ، فترنّح فى مكانه فى عنف ، وحاول أن يلتفت ليواجه خصمه ، إلا أنه تلقّى ضربة أكثر عنفًا ، فسقط على وجهه أرضًا ، وإن لم يفقد وعيه تمامًا ..

وبينما انتشر فى عقله ضباب كثيف ، استطاعت عيناه تمييز ثلاثة من الرجال ، يدفعون فراش الرئيس خارج الحجرة ، وتناهى إلى مسامعه هدير مروحة هليوكوبتر ،



ـ تلقى ضربة أكثر عنفًا ، فسقط على وجهه أرضًا ، وإن لم يفقد وعيه تمامًا ..

يمتزج بصفارات الإنذار ، وأبواق سيارات الشرطة والجيش ، التى تهرع إلى المكان ، فقاوم آلامه ودواره ، وحاول أن يرفع مسدسه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ لن أسمح لكم باختطاف الرئيس ، ولن ..

هوت ضربة ثالثة على رأسه ، فتكاثف الضباب فى سرعة ، وشلّ عقله وتفكيره تمامًا ، وسقط مسدسه من يده ، و ...

وغاب عن الوعى تمامًا ..

فى قلب المستشفى المركزى ..

وقلب الخطر .

★ ★ ★



٧ ـ المقاومة ..

احتقن وجه (جوانزاليس) فى شدة ، وهو يراجع التقرير العاجل ، الذى قدّمه طاقم الأمن ، ولوّح به فى وجه (بوراندى) ، صائحًا فى غضب :

ـ هذا التقرير فضيحة .. فضيحة لى ولكم ، وللدولة كلها .. كيف يحدث هذا أيها الأوغاد ؟!.. كيف ينجح مجهولون فى اختطاف رئيس الدولة ، تحت سمع وأبصار طاقم الأمن كله ؟

تحسّس (بوراندى) الضمادة ، التى تحيط برأسه ، وتمتم فى حنق :

ـ لقد فعل الجميع ما بوسعهم يا سيّدى ، ولكن هؤلاء الآخرين تصرّفوا بسرعة وبراعة ، ومن الواضح أننا نتجاهل حماية وتأمين الأسطح ، وهذا خطأ بشع .

صاح (جوانزاليس) :

ـ بل قل : إنها مصيبة .. من يمكنه تصديق هذا .. فريق من الانتحاريين يهبط فجأة على المستشفى المركزى ، ويختطف رئيس الدولة ، ثم ينجح فى الفرار

بطائرة هليوكوبتر كبيرة ، دون أن نتمكّن حتى من تحديد مسارها أو المكان الذى اتجهت إليه .. بم تسمّى هذا ؟

لوّح (بوراندى) بذراعه ، وقال :

ـ تقصير شديد يا سيّدى .

صرخ (جوانزاليس) فى ثورة :

ـ بل جريمة رهيبة فى حق جهازنا الأمنى كله .. والأسوأ أننا نجهل تمامًا طبيعة المختطفين وانتماءهم ، ومن الواضح أنهم لا يسعون للتخلّص من الرئيس ، وإلا لأطلقوا النار عليه مباشرة .. إنهم يريدونه حيًا ، ولكن لماذا ؟.. لماذا ؟

قال (بوراندى) ، ووجهه يحمل علامات التفكير العميق :

ـ ربما لطلب فدية كبيرة .

هزّ (جوانزاليس) رأسه فى عصبية ، وقال :

ـ هذا ما جال بخاطرى فى البداية ، ولكن وجود رجل المخابرات المصرى يلغى هذه الفكرة تمامًا ، ويضع أمامى احتمالات أخرى مخيفة .

قال (بوراندى) فى حماس :

ـ ولكنه لا يعمل معهم .

التفت إليه (جوانزاليس) فى حركة حادة ، وقال :

ـ وكيف يمكنك الجزم بهذا ؟

لوّح (بوراندى) بسبّابته ، وهو يجيب :

ـ لقد اشتبك معهم ، وحاول منعهم من اختطاف الرئيس ، ولكن بعضهم باغتوه بهجوم خلفى ، وأفقدوه الوعى .

انعقد حاجبا (جوانزاليس) فى شدة ، وهو يقول :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فقد حرصوا على حمله معهم ، عندما هربوا بالهليوكوبتر .. ألا يثير هذا الشك ؟!.. لماذا هو بالذات ؟

حكّ (بوراندى) رأسه ، وقال :

ـ ربّما لأنهم تعرّفوه ، بعد أن واصلنا إذاعة صورته طوال الوقت .

قال (جوانزاليس) فى حدة :

ـ لماذا لم يقتلوه إذن ؟.. لماذا اختطفوا الرئيس ، والرجل المفترض أنه قاتله ؟!.. ما الذى يسعون إليه ؟.. ما خطّطهم وأهدافهم ؟

غمغم (بوراندى) :

ـ هذا يحتاج إلى دراسة جيدة يا سيّدى .

أشار (جوانزاليس) بسبّابته ، وقال :

ـ بل يحتاج إلى تجنيد كل إمكانياتنا يا رجل .. لن تعجز

الدولة كلها عن الإيقاع برجل واحد ، وفريق من المختطفين ..

ثم استدار إليه ، مستطردًا فى حزم :

ـ سنفرض حظرًا تامًا على كل ما يتعلّق بهذا الموقف ، وسنُعلن أن الرئيس بخير ، وأن خطة اختطافه قد فشلت .. لا صحافة أو لقاءات .. وفى الوقت نفسه أريد أن أجتمع بقادة الجيش والشرطة .

وانعقد حاجباه أكثر ، وهو يتطلّع إلى السقف فى صرامة ، مضيفًا :

ـ وبعدها لن تجد شبرًا واحدًا لتختبئ فيه يا رجل المخابرات المصرى.. وهذا وعد من (ألبرتو جوانزاليس)..

★ ★ ★

« يبدو أنه يستعيد وعيه .. » .

كانت تلك العبارة ، التى نطقها صوت أنثوى خافت ، هى أوّل ما تسلّل إلى أذنى (أدهم) ، عندما انجاب ذلك الضباب الكثيف عن رأسه ، وبدأ عقله يستوعب ما حوله فى بطء ..

وفى لحظة واحدة ، استعاد ذهنه كل ما حدث ، منذ تسلّل إلى المستشفى المركزى ، وحتى فقد الوعى ، وتوقّع أنه الآن مقيّد إلى فراش ما ، ولكنه عندما أراد التيقن من هذا ، كشف أن معصميه وقدميه تتمتع بحرية الحركة ، ففتح عينيه

فى بطء ، وسمع نفس الصوت الأنثوى يقول فى ابتهاج واضح :

ـ بل لقد استعاده بالفعل .

ولثانية أو ثانيتين ، بدت له الرؤية مهتزة مضطربة ، ثم لم يلبث أن استعاد قدرته على الإبصار ، فرأى أمامه فتاة فى منتصف العشرينات من عمرها ، سمراء البشرة ، سوداء الشعر والعينين ، ترتدى ثوبًا إسبانيًا بسيطًا ، وتبتسم ابتسامة ساحرة ، وهى تقول له :

ـ شكرًا لله .. إنك بخير .. هل تشعر بألم أو صداع ، أو أى شىء آخر ؟

اعتدل جالسًا ، وهو يتمتم :

ـ بعض الصداع فحسب ، ولكنه لن يلبث أن يزول .. لقد اعتدت هذا .

وداعب مؤخرة رأسه بكفه ، قبل أن يدير عينيه فيما حوله فى إمعان ..

كان يرقد داخل حجرة نوم أنيقة ، توحى بالثراء وحسن الذوق ، وهناك رجل مفتول العضلات ، يجلس فوق مقعد خشبى ، عند باب الحجرة ، وهو يحمل مدفعًا آليًا ضخمًا ، والفتاة تجلس على مقعد مجاور لفراشه ، وما زالت تحمل ابتسامتها الساحرة ، فسألها فى بساطة :

ـ هل يمكننى أن أعرف أين أنا ؟

انفرجت شفتاها الجميلتان ، وبدا من الواضح أنها تهتم بإجابته ، عندما قال الرجل فى غلظة :

ـ ليس بعد .

التفت إليه (أدهم) بنظرة ساخرة ، قبل أن يسأل الفتاة :

ـ من هذا بالضبط ؟.. الدب الذى تلهين به ؟

عقد الرجل حاجبيه فى غضب ، فى حين ابتسمت الفتاة وقالت :

ـ إنه أحد رجال أبى ، وأظنك لاحظت أنه لا يمتلك سلطة إصدار القرار .

ألقى (أدهم) نظرة أخرى ساخرة على الرجل ، ثم نهض قائلًا :

ـ وهل يمتلك سلطة التفكير ؟

تحفّز الرجل فى حركة عصبية ، ووجّه فوهة مدفعه صوب (أدهم) ، الذى تجاهله تمامًا ، وهو يسأل الفتاة :

ـ ما اسمك ؟.. ومن هو والدك ؟

أجابته بسرعة :

ـ أنا (جوانيتا) .. طالبة بالسنة النهائية بكلية الفنون ، وأبى هو ...

قاطعها الرجل فى خشونة :

ـ ليس بعد ..

بدا عليها الغضب وهى تصيح به :

ـ دعنى وشأنى .. سأقول ما يحلو لى قوله .

أجابها الحارس فى صرامة :

ـ ليس قبل أن أتلقّى الأوامر بهذا .

احتقن وجهها ، وهمّت بالانفجار فى وجهه ، ولكن (أدهم) امتصّ غضبها فى سرعة ، وهو يقول :

ـ لا تفقدى أعصابك بسبب شخص كهذا .. إنه ككل أبناء مهنته المعقّدة ، يتصوّر أن المدفع الذى يحمله ، يجعله أكثر ذكاء وحكمة من الآخرين ، حتى أنه يستطيع أن يفرض عليهم سلطته ووجهات نظره ، ولا توجد سوى وسيلة واحدة لإقناعهم بالعكس .

سألته فى فضول واضح :

ـ وما هى ؟!

كانت تتوقّع منه ردًا شفهيًا ، إلا أنها فوجئت به ينزلق بغتة نحو الحارس ، ثم يركل مدفعه الآلى ، مستطردًا :

ـ أن نجرّدهم من سلاحهم .

هبّ الحارس واقفًا فى غضب ، ولوّح بقبضتيه ، صائحًا :

ـ لدى أسلحة أخرى ، لا يمكنك تجريدى منها .

تفادى (أدهم) لكمة الحارس فى بساطة ، ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، قائلًا فى سخرية :

ـ حقًّا ؟!.. وما هى ؟!

شهقت (جوانيتا) ، وهتفت مذعورة :

ـ كفى .. كفى .

ولكن الحارس سقط إلى جوار مدفعه الآلى ، فاختطفه بسرعة ، وصاح :

ـ فليكن أيها المصرى .. أنت أردت هذا .

انبعث هنا صوت صارم ، يقول بلهجة آمرة :

ـ ضع سلاحك يا رجل .

خفض الحارس فوهة مدفعه الآلى فى سرعة ، وهو يقول مضطربًا :

ـ لم أقصد هذا يا سنيور .. هو الذى ...

التفت (أدهم) يتطلّع إلى الرجل ، الذى أشار للحارس فى صرامة ، وقاطعه قائلًا :

ـ لا أريد اعتذارات أو تفسيرات .. غادر الحجرة الآن .

نهض الحارس فى سرعة ، وعدا مغادرًا الحجرة ، فى حين التفت الرجل إلى (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ معذرة يا سنيور (أدهم) .. هذا الرجل لم يفهم سبب تواجدك هنا ، ولم يدرك أنك ضيفى .. معذرة .

ابتسم (أدهم) متهكمًا ، وهو يقول :

ـ ضيفك ؟!.. عجبًا !.. هل اعتدت إفقاد ضيوفك وعيهم ، قبل أن تأتى بهم إلى هنا ؟

هزَّ الرجل كتفيه ، وهو يجيب :

ـ رجالى اضطروا لهذا ، فقد اعترضت طريقهم ، ولم يكن هناك وقت للشرح .

ثم مدّ يده ليصافح (أدهم) مستطردًا :

ـ ولكن دعنا نتعارف أولًا .. أنا ..

قاطعه (أدهم) فى سرعة :

ـ (جون بدروس) .. أكبر رجل أعمال فى (باراجواى) و (أمريكا الجنوبية) كلها .. تدير عددًا من المشروعات الضخمة ، وتقدَّر ثروتك بالمليارات ، ولكن هناك نقطة سوداء فى ملفك .

سأله الرجل فى اهتمام شديد :

ـ وما هى ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ أنت أقرب صديق لمدير المخابرات القذر (ألبرتو جوانزاليس) .

هتفت (جوانيتا) :

ـ أبى ؟!

أما (جون بدروس) ، فقد ارتسمت على وجهه العريض ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ـ يسعدنى أن تبلغ شهرتى هذا الحد ، حتى يكون لديكم ملف عنى فى المخابرات المصرية ، ولكن هناك نقطة فى هذا الملف تحتاج إلى تصحيح .

سأله (أدهم) :

ـ وما هى ؟!

لوّح بكفه ، وهو يقول :

ـ لست صديقًا لذلك الرجل (جوانزاليس) .

همَّ (أدهم) بالاعتراض ، ولكن (بدروس) استوقفه بإشارة من يده ، وهو يكمل :

ـ صحيح أن كل الظواهر تقول هذا ، ولكن الواقع يختلف تمامًا .. إننى أتقرَّب لذلك الرجل ، حتى يمكننى معرفة أسراره ، واستغلالها لتوجيه ضربات عنيفة وقاصمة إلى نظامه .

قال (أدهم) فى دهشة وحذر :

ـ (جون بدروس) .. هل تحاول إقناعى بأنك أحد رجال المقاومة ، المناهضون للحكم فى (باراجواى) ؟

ابتسم (بدروس) ، وهو يقول :

ـ مرة أخرى يحتاج الأمر إلى تصحيح يا سنيور (أدهم) ،

فأنا لست أحد رجال المقاومة ، بل أنا الزعيم .. زعيم كل فرق المقاومة فى (باراجواى) .

وكانت مفاجأة حقيقية لـ (أدهم) .. مفاجأة مدهشة ..

* * *

توسَّطت مائدة الإفطار تلك الحديقة الغنّاء الشاسعة ، فى قصر (جون بدروس) ، واجتمع حولها هذا الأخير ، مع (أدهم) و (جوانيتا) ، وراح يحتسى قهوة الصباح فى بطء ، وهو يقول :

ـ طبيعة الحكم هنا مؤسفة ، كما لا بد أنك تعلم يا سنيور (أدهم) ، فعلى الرغم من أن (بونزا كورتينا) هو الرئيس الشرعى للبلاد ، إلا أن المسيطر الفعلى على مقاليد الحكم هو (ألبرتو جوانزاليس) .. صحيح أن الجيش ورجال الشرطة لا يميلون إليه ، ولكنهم يطيعون أوامره بحكم منصبه ، واحترامًا للرئيس (بونزا) ، الذى وضعه فى هذا المنصب ، ولقد نجح (جوانزاليس) فى عزل الرئيس تمامًا عن شعبه ، بحجة الحفاظ على أمنه وسلامته ، وأصبح هو مصدر المعلومات الوحيد له .. وعندما نشأت فرق المقاومة بزعامتى ، لم يكن غرضنا الرئيسى هو إسقاط الرئيس (بونزا) ، ولكن إزاحة (جوانزاليس) عن

طريقه .. ويبدو أن (جوانزاليس) قد فقد صبره أخيرًا ، ولم يعد يحتمل البقاء فى منصب الرجل الثانى ، على الرغم من قوته وسلطاته ، ولكن العقبة الوحيدة أمامه كانت فى الولاء والحب ، اللذين يحملهما الشعب والجيش للرئيس (بونزا) ، مما يمنعه من القيام بانقلاب مباشر ، للاستيلاء على الحكم ، لذا فقد لجأ إلى خطته الجهنمية تلك ، ليتخلّص من الرئيس ، ويلصق التهمة بمخابرات دولة أخرى ، ثم يظهر هو فى صورة المقاتل الصنديد ، الذى ألقى القبض على المتآمرين ، وأعدم الخونة ، ويصعد بعد هذا فى ثقة وهدوء وشرعية ، إلى مقعد الحكم .. ولقد نفذ العملية بذكاء كبير ، وكاد يقنعنا بالأمر ، لولا أنه ارتكب عدة أخطاء غبية ، فقد أعلن أنه حصل على ملفك بسرعة كبيرة .. وربما أسرع مما يقتضيه الموقف ، ثم ترك بصماتك على المسدس ، كما لو أنك أحد اللصوص الحمقى ، فى حين أنه من الطبيعى ، بالنسبة لمحترف مثلك ، أن يرتدى زوجًا من القفازات على الأقل ، كما يفعل أى لص عادى فى أيامنا هذه .. أضف إلى هذا أنه من غير الطبيعى أن ينتحل شخص ما هيئة رئيس الدولة ، ويجوّل ببساطة كتلك التى ظهرت فى أفلام الفيديو ، التى أذاعوها ، دون أن تنتبه أجهزة المراقبة إلى وجود رئيسين فى آن واحد .. ثم ما الداعى للتنكر فى هيئة

الرئيس لقتله ، مادمت هنا باعتبارك ممثلًا لوزارة الخارجية المصرية ؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- يعجبنى ذكاؤك يا سنيور (بدروس) .

أجابه (بدروس) :

- أشكرك يا سنيور (أدهم) ، ولكننى أيضًا معجب بذكائك وقدراتك الفذّة ، وأعتقد أن هذا الذكاء هو الذى جعلنا نتنبأ معًا ، بأن (جوانزاليس) سيحاول التخلّص من الرئيس مرة أخرى فى المستشفى ، وهو الذى دفع كلًا منا إلى محاولة إنقاذ الرئيس .

بدا الاهتمام على وجه (أدهم) ، وهو يسأله :

- بالمناسبة !.. أين الرئيس الآن ؟

لوّح (بدروس) بيده ، وهو يجيب :

- لقد نقلناه إلى حجرة عناية مركَّزة خاصة ، أقمناها له فى مكان لن يتوصّل إليه (جوانزاليس) قط ، وهناك فريق طبى كامل يشرف على متابعة حالته والعناية به ، حتى يستعيد وعيه وصحته ، ويعلن تفاصيل المؤامرة للجميع .

تراجع (أدهم) فى مقعده ، وقال :

- وهل سنقضى وقتنا فى الاستمتاع بأشعة الشمس ، وتناول الوجبات الشهية ، حتى يشفى الرئيس ؟

قالت (جوانيتا) فى حيرة :

- وما الذى يمكن فعله ؟

أجابها فى حزم :

- العمل على كشف (جوانزاليس) ، وفضح أمره .

قال (بدروس) :

- سيحدث هذا تلقائيًا يا سنيور (أدهم) ، عندما يعلن الرئيس الأمر .

مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

- ولكننا سنمنح (جوانزاليس) وقتًا كافيًا لهضم المشكلة ، وإعادة ترتيب أوراقه ، والبحث عن أساليب جديدة لإتقان خدعته .

قلب (بدروس) كفيه ، وهو يقول :

- وكيف يمكننا أن نفعل هذا ؟.. هل تظن أنه من الـ ...

قاطعه (أدهم) بغتة ، وقد بدت على ملامحه معالم الانتباه الشديد .

- هل تسمعان هذا ؟

أرهف (بدروس) وابنته سمعهما ، ثم هتفت (جوانيتا) :

- كأنها آلاف الأسراب من النحل ، أو ...

أكمل (بدروس) ، فى توتر :

- أو سرب من طائرات الهليوكوبتر .

لم يكد ينطقها ، حتى برزت طائرات الهليوكوبتر الحربية ، التى تندفع نحو القصر ، فدفع (أدهم) المائدة بعيدًا ، وهو يهتف :

- أسرعا إلى القصر .. إنه هجوم مباشر .. من الواضح أن أمرك قد انكشف بوسيلة ما .

انطلق الثلاثة يعدون نحو القصر ، ورفع رجال (بدروس) مدافعهم الآلية ، ولكن الطائرات الحربية ، انقضّت فى عنف ..

وتعالى دوى الانفجارات ..

وفى ارتياع شديد ، صرخت (جوانيتا) :

- ماذا يحدث ؟.. ماذا يحدث ؟

اختفت حروف كلماتها الأخيرة ، مع دوى انفجار عنيف خلفهم ، دفعهم فى قوة إلى الأمام ، فسقطوا على وجوههم ، وهبّ (أدهم) واقفًا بسرعة ، وهو يجذب (جوانيتا) ، صائحًا :

- كم عدد رجالك هنا يا (بدروس) ؟

أجابه (بدروس) ، وهو ينهض ليواصل الجرى نحو القصر :

- حوالى ثلاثين رجلًا .. لن يكفوا لصد مثل هذا الهجوم .

لم يكد يتم عبارته ، حتى اخترقت سيارة مصفحة سور القصر ، واندفع خلفها عدد من رجال الكوماندوز ، فصرخت (جوانيتا) :

ـ سيقتلوننا يا أبى .. سيقتلوننا .

جذبها والدها من يدها ، وهو يركض نحو القصر ، هاتفًا :

ـ لو نجحنا فى بلوغ القصر ، لن يعثروا علينا قط .

سأله (أدهم) :

ـ ألديك وسيلة للاختفاء ؟

أجابه (بدروس) :

ـ نعم .. هناك ممر سرى ، و ...

دوى انفجار آخر خلفهم ، ودفعتهم موجة التضاغط فى عنف إلى الأمام ، فسقطوا إلى جوار سلم القصر ، ولهث (بدروس) فى شدة ، وهو يقول فى ألم :

ـ يبدو أننى أصبت .. واصلا الطريق .. (جوانيتا) تعرف الممر السرى .. أسرعا .

ومع آخر حروف كلماته ، انقضّ عليهما أحد رجال الكوماندوز ، وهو يطلق صيحة قتالية مخيفة ، ولكن (أدهم) استقبله بلكمة ساحقة فى فكه ، وأخرى فى معدته ، ورأى آخرين يندفعان نحوهم ، فصاح وهو يلتقط المدفع الآلى للرجل الذى سقط :

ـ أسرعى يا (جوانيتا) .. أسرعى .

صرخت :

ـ أبى .. لن أترك أبى .

صاح بها (أدهم) ، وهو يطلق نيران مدفعه على المهاجمين .

ـ قلت : أسرعى .

وهتف (بدروس) :

ـ اهربى بالله عليك .. لا تسمحى لهم بإلقاء القبض عليك قط .

ترددت لحظة ، فصرخ فيها والدها فى حدة :

ـ اهربى .

وهنا جرت (جوانيتا) بأقصى سرعتها ، وقفزت درجات السلم فى رعب ، ثم اختفت داخل القصر ، فى نفس اللحظة التى أحاط فيها فريق كامل من رجال كوماندوز (باراجواى) بـ (أدهم) و (بدروس) ، وارتفعت فوهات عشرات المدافع الآلية فى وجهيهما ، وأدرك الاثنان أن المعركة قد انحسمت ، وأنهما قد خسراها .. وبشدة ..

★ ★ ★

٨ ـ فى قبضة شيطان ..

اعتصرت قبضة باردة كالثلج قلب (قدرى) ، وهو يحدّق فى شاشة التليفزيون الأمريكى ، التى نقلت خبر إلقاء القبض على (أدهم) ، واعتقاله بتهمة محاولة قتل الرئيس (بونزا كورتينا) ، والتصريح الذى أدلى به الرئيس المؤقت (ألبرت جوانزاليس) ، حول إجراء محاكمة عاجلة ، تمهيدًا لإعدام (أدهم) ، وتوجيه تهمة الخيانة العظمى لرجل الأعمال العالمى (جون بدروس) ..

وفى مرارة وعجز ، هتف (قدرى) :

ـ مستحيل !.. مستحيل أن يفعلوا هذا بصديقى (أدهم) .

لم تفهم ممرضته الأمريكية حرفًا واحدًا مما نطق به بالعربية ، ولكنها استوعبت انفعاله ، فسألته مشفقة :

ـ هل تعرف هذا الرجل ؟

هتف (قدرى) بالإنجليزية :

ـ أعرفه ؟!.. هذا الرجل الذى ترينه أمامك ، والذى يلفقون له هذه التهمة البشعة ، هو أفضل صديق عرفته ، فى عمرى كله .

ربّتت على كتفه ، مغمغمة فى تعاطف :

ـ من العسير دائمًا أن يقبل المرء أخطاء من يحب .

صاح (قدرى) فى حنق :

ـ أية أخطاء ؟!.. أنت لا تعرفين (أدهم) هذا .. إنه رجل بمعنى الكلمة .. رجل يندر وجوده فى أى عصر وزمان .. إنه رجل من طراز خاص ، لا يمكنه أن يغتال أى مخلوق .

قالت فى اهتمام :

ـ يقولون إنه رجل مخابرات مصرى .

كاد (قدرى) يهتف :

ـ بل هو أفضل رجل مخابرات فى العالم أجمع .

ولكن هتافه هذا لم يتجاوز أعماقه ، ولكنه تحوّل إلى انفعال جارف ، وهو يلوّح بيده ، صائحًا :

ـ دعيهم يقولون ما يحلو لهم ، ولكنه ليس بقاتل .

ثم هبّ واقفًا ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ لن أتركه فى هذا الموقف وحده .. سأذهب إلى (باراجواى) على الفور ، و ...

قاطعته الممرضة فى إشفاق :

ـ وما الذى يمكنك أن تفعله ؟

اخترقت العبارة مشاعره كرصاصة قاتلة ، وانفجرت فى قلبه كقنبلة حارقة ، تصاعدت نيرانها إلى رأسه ،

فاحتقن بها وجهه بشدة ، وخفض عينيه وهو يرفع كفه اليمنى المصابة ، وتمتم فى أسى ومرارة لا حد لهما :

ـ نعم .. ما الذى يمكننى أن أفعله ؟

هتفت الممرضة فى حرج وارتباك :

ـ ليس هذا ما قصدته يا مستر (قدرى) ، وإنما كنت أعنى أن مثل هذه الأمور شديدة التعقيد ، و ...

قاطعها فى حزن :

ـ أعلم ما كنت تقصدينه .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد :

ـ أعلمه جيدًا .

ازداد شعور الممرضة بالندم وتأنيب الضمير ، وتمتمت :

ـ مستر (قدرى) .. إننى ..

أشار إليها بيده ، طالبًا منها الصمت ، ثم اتجه إلى باب الحجرة ، مغمغمًا :

ـ اسمحى لى .. أحتاج إلى بعض الهواء النقى .

لم تعترض طريقه وهو يغادر الحجرة ، ويقطع ممرات المستشفى فى صمت حزين ..

كانت هناك غصة مؤلمة تعربد فى حلقه ، وتملأ نفسه بمرارة وإحساس بالعجز تختنق بهما أنفاسه ، وفى عينيه

تجمعت دمعة كبيرة ، جاهد ليحبسها بين أجفانه ، وهو يتجه إلى قسم الرعاية الخاصة ، ولكنه لم يكد يتوقف أمام الواجهة الزجاجية لإحدى حجرات القسم ، ويلقى نظرة على (منى) ، الغارقة فى غيبوبة عميقة ، وسط عشرات من الأجهزة والآلات والخراطيم الدقيقة ، حتى هزمت تلك الدمعة أجفانه ، ووثبت عبرها إلى خديه ، وهو يتمتم :

ـ (أدهم) يحتاج إلينا يا (منى) ، ونحن عاجزون عن مساعدته ..

قالها وانهمرت الدموع من عينيه فى غزارة ..

وفى ألم ..

* * *

« لا بد أن نفعل شيئًا .. » .

نطق رئيس الوزراء هذه العبارة فى توتر شديد ، وهو يجلس فى مكتبه ، فى مبنى رياسة الوزراء ، ثم استطرد مواجهًا مدير المخابرات العامة :

ـ الأمور تتطور بأسرع مما كنا نتوقع .. لقد ألقوا القبض على (أدهم) هذا ، وسيجبرونه على توقيع اعتراف زائف بأننا كنا وراء كل هذا .. هل تدرك ما يعنيه مثل هذا الاعتراف ؟.. سنفقد مصداقيتنا الدولية ، ويوضع اسمنا فى قائمة الدول المؤيدة للإرهاب .

أجابه مدير المخابرات فى حسم :

ـ لا أحد يمكنه إجبار (أدهم صبرى) على توقيع مثل هذا الاعتراف .

لوح رئيس الوزراء بيده ، قائلًا :

ـ إنك تضفى على (أدهم) هذا صفات أسطورية أكثر مما ينبغى .. إنه مجرد بشر ، لا يمكنه أن يحتمل وسائل التعذيب غير الآدمية ، التى يمكن أن يستخدمها رجل مثل (جوانزاليس) هذا .

قال مدير المخابرات فى ثقة :

ـ صدقنى يا سيدى .. لو تمزقت أطراف (أدهم) ، ووضعوه حيًا فى أتون من اللهب ، لن يفعل شيئًا واحدًا ، يمكن أن يسىء إلى (مصر) .

تطلع إليه رئيس الوزراء فى دهشة ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنك تثق به تمام الثقة .

أجابه المدير فى حزم :

ـ ودون ذرة واحدة من الشك .

صمت رئيس الوزراء لحظات ، وهو يتطلع إلى مدير المخابرات ، ثم تراجع فى مقعده ، وقلب كفه ، قائلًا :

ـ ولكن الموقف الآن لم يعد يحتمل النقاش أو التأجيل .. لقد ألقوا القبض على (أدهم) بالفعل ، وهذا

وحده يمنحهم بعض المصداقية ، ثم إننا لم ندل ببيان رسمى بعد ، ولم نعلن موقفنا من هذه الاتهامات ، والكل يطالبنا بتحديد موقفنا .

قال مدير المخابرات فى حزم :

ـ انف الأمر كله رسميًا يا سيدى .

تنهد رئيس الوزراء ، وهو يقول :

ـ ولكن لديهم ملفًا كاملًا عن (أدهم) ، وجواز سفره يقول إنه مندوب لوزارة الخارجية المصرية .

هز مدير المخابرات كتفيه ، وهو يقول :

ـ من المستحيل عمليًا إثبات انتماء أى شخص إلى أجهزة المخابرات ، إلا باعتراف شخصى منه ، وحتى هذا الاعتراف يمكن تفنيده عند الضرورة ، فالتعامل مع أجهزة المخابرات محاط دائمًا بسرية شديدة ، ولو نفينا انتماء (أدهم) إلى مخابراتنا ، وواصلنا إصرارنا على أنه مندوب بالفعل لوزارة الخارجية المصرية ، لن يمكنهم إثبات العكس قط ، خاصة وأننا سنعد كل الأوراق التى تؤيد ما نقول .. أمهلنى بضع ساعات ، وستجد له ملفًا كاملًا فى وزارة الخارجية ، وسجل ترقيات وجزاءات أيضًا .

سأله رئيس الوزراء فى اهتمام :

ـ وماذا عن (أدهم) نفسه ؟.. هل سنتركه بين أيديهم ؟

أجابه مدير المخابرات :

ـ يمكننا أن نرسل فرقة انتحارية ، لمعاونته على الفرار من معتقله ، وتهريبه إلى (أمريكا) ، ولكن هذا الإجراء محفوف بمخاطر جمّة ، وقد يؤدى فى حالة فشل المهمة ، إلى تأكيد تورّط (مصر) فى حادث الاغتيال ، لذا فليس أمامنا سوى حل واحد .

سأله رئيس الوزراء :

ـ وما هو ؟

شرد مدير المخابرات ببصره وأفكاره لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

ـ سنراهن على قدرة (أدهم) وبراعته ، وسنمنحه الفرصة للخلاص من هذا المأزق بصفة شخصية ، ولتأكيد استحقاقه للقب الذى حصل عليه ..

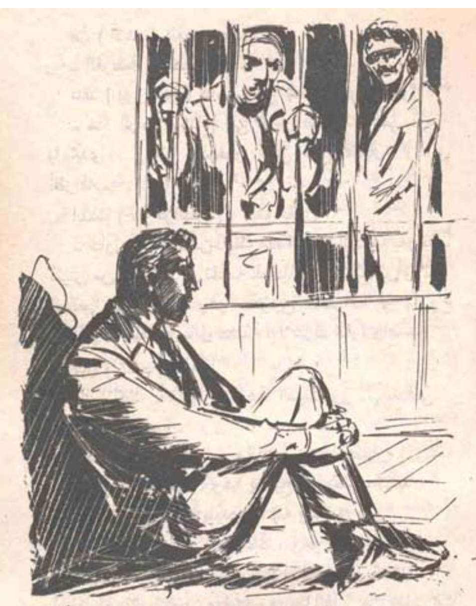
وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يضيف :

ـ لقب (رجل المستحيل) .

★ ★ ★

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (جوانزاليس) ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) الذى بدا هادئًا لا مباليًا ، داخل زنزانته الصغيرة ، وقال :

ـ ما الذى كنت تتوقّعه يا سنيور (أدهم) ؟.. أن تهزم قدرات دولة بأكملها ، وتنجح فى الفرار منها ؟



ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (جوانزاليس) ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) الذى بدا هادئًا لا مباليًا ، داخل زنزانته ..

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ الفرصة لم تضع بعد .

عقد (بوراندى) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـ هذا الرجل يحتاج إلى درس قاس .. دعنى أؤدّبه يا سيّدى .. رجالنا يتلهفون على نزع أظفاره وحرق أطرافه .

ابتسم (جوانزاليس) ، وهو يقول :

ـ حاول أن تطرد من ذهنك هذه الأفكار البدائية يا رجل ، فليس من المنطقى أن تقدّمه للمحاكمة ، وتقنع الرأى العام العالمى باعترافه ، وهو محروق الأطراف أو منزوع الأظفار .. هناك وسائل حديثة ، لا تترك آثارًا واضحة .

قال (أدهم) ساخرًا :

ـ بالتأكيد .. مثل رؤية هذا الديناصور .. صدقنى .. هذا يعذّبنى بشدة .

زمجر (بوراندى) ، واندفع نحو القضبان ، وكأنه يرغب فى اقتحامها ، وهو يصيح فى غضب شديد :

ـ دعنى أمزّقه يا سيّدى .. إنه يستحق هذا .

قهقه (جوانزاليس) ضاحكًا ، وهو يقول:

ـ إنه يستفزك أيها الغبى .. لا تجعله يفعل بك هذا ، وإلا استغل ثورتك لتحسين وضعه ، وربما للفرار من هنا .. إنك

لم تقرأ عنه ربع ما قرأته أنا .. صدقنى .. إنه أستاذ فى مجاله .

قال (أدهم) فى استرخاء :

ـ أشكرك على هذا القول .

عقد (جوانزاليس) حاجبيه فجأة ، وهو يقول :

ـ أعترف أنك أستاذ فى مجالك ، ولكنك الآن فى قبضتى ، وهذا يعنى أننى الرجل الذى هزم الأستاذ .. أنا الأستاذ الحقيقى .

اعتدل (أدهم) ، وواجهت عيناه عينى (جوانزاليس) مباشرة ، وسرى بينهما تيار عنيف من التحدّى الصارم ، قبل أن يعود (أدهم) إلى استرخائه ، وهو يقول :

ـ هل سمعت عن المثل القائل : « من يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا » ؟!

أجابه (جوانزاليس) :

ـ بالطبع يا سنيور (أدهم) .. لقد سمعت هذا المثل ، وأحفظه عن ظهر قلب ، وأومن به تمامًا ، وهأنتذا ترى نتائجه .. لقد نجحت فى الفرار من القصر ، واختفيت تمامًا ، بعد أن أغرقت سيارتى المصفّحة ، وأصبت الجميع بالدهشة لما فعلت ، ولكننى فهمت كل شىء .. فهمت كيف أمكنك البقاء تحت الماء لفترة طويلة ، وكيف

هربت من طاقم الحراسة ، عندما كشفت اختفاء أسطوانة الأكسجين الاحتياطية والقناع المضاد للغازات ، اللذين يتم الاحتفاظ بهما بصفة دائمة فى السيارة ، تحسُّبًا للطوارئ .. لقد أدركت على الفور أنك أوصلت الأسطوانة بالقناع ، وسبحت بهما تحت الماء .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ عظيم .. هذا يثبت أنك تمتلك القدرة على التفكير .

ولكن (جوانزاليس) لم يُبد غضبًا ، وإنما أجاب فى هدوء :

ـ بل وأمتلك قدرات أخرى يا سنيور (أدهم) ، ساعدتنى على كشف وجودك مع ذلك الخائن (بدروس) .

أجابه (أدهم) فى هدوء مماثل :

ـ (جون بدروس) ليس له أية صلة بما حدث .. لقد أجبرته على التعاون معى ، و ...

قاطعه (جوانزاليس) فى صرامة :

ـ لا تحاول هذا ثانية يا سنيور (أدهم) .. إنك تهين ذكائى بمثل هذا الادعاء .. صحيح أننى لم أكن أشك فى (بدروس) قط ، ولكن هذا لم يمنعنى من وضع أحد رجالى فى قصره ، متنكرًا فى هيئة خادم بريطانى ، فى محاولة منى لكشف أسرار عمله وصفقاته ، والاستفادة ماليًا من

هذا ، والواقع أن (بدروس) كان حريصًا للغاية ، حتى أنه لم يكن يلتقى بأى من أفراد المقاومة فى قصره ، أو حتى يجرى اتصالات هاتفية فى هذا الشأن ، حتى أن عمل الرجل اقتصر على التجسس الاقتصادى ، حتى ارتكب (جون بدروس) أكبر خطأ فى حياته ، عندما حملك إلى قصره ، بعد أن اختطفك رجاله مع الرئيس .. لقد تعرَّفك عميلى على الفور ، وأسرع يبلغنا بالأمر ، ثم دسّ جهاز تصنت صغير أسفل المائدة ، التى تناولتم حولها طعام الإفطار ، وبوساطته تأكدت من كل شىء ، وعرفت الوجه الخفى لرجل الأعمال الملياردير (جون بدروس) ، وأصدرت أوامرى بالهجوم عليكم واعتقالكم ، وهأنتذا ترى النتيجة .

قال (أدهم) فى شىء من الصرامة :

ـ أهنئك يا (جوانزاليس) .. لقد ربحت هذه الجولة .

رفع (جوانزاليس) حاجبيه ، ثم ابتسم فى سخرية ، وقال :

ـ جولة ؟!.. لا تحط من قدرى على هذا النحو يا سنيور (أدهم) ..

إننى لم أربح جولة واحدة .. لقد ربحت المباراة كلها .

قال (أدهم) فى صرامة حازمة :

ـ المباراة لم تنته بعد يا (جوانزاليس) .

أطلق (جوانزاليس) ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يقول :

ـ بل انتهت يا رجل المخابرات المصرى .. صحيح أنك رجل صلب عنيد ، كما يقول ملفك ، ولكنك و (بدروس) لن تحتملا البقاء على جهاز الصدمات الكهربية لأكثر من ساعة واحدة ، وبعدها سنحصل على كل ما نريده منكما .. سيخبرنى (بدروس) اللعين أين يخفى الرئيس ، وستدلى أنت بالاعتراف الذى نريده .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هل تعتمد على هذا ؟

أجابه فى غضب :

ـ نعم .. أعتمد عليه كثيرًا يا سنيور (أدهم) ، فما من مخلوق أمكنه احتمال مرور خمسمائة فولت كهربى فى جسده (*) ، وأكثر الرجال صلابة انهار بعد أقل من ساعة واحدة ، ووقَّع اعترافات تكفى لإعدامه .

ثم التفت إلى (بوراندى) ، وقال :

ـ خذه إلى غرفة الاعتراف .

(*) الفولت : هو وحدة قياس القوة الواقعة الكهربية ، والفولت الدولى هو القوة الدافعة الكهربية ، التى تولِّد تيارًا قدره (أمبير) واحد دولى ، إذا أثرت على موصِّل مقاومته (أوم) واحد دولى .

برقت عينا (بوراندى) فى وحشية ، وهو يقول :

ـ سيسعدنى هذا كثيرًا يا سيِّدى .

وأشار إلى عشرة رجال مسلحين ، صوَّبوا فوهات مدافعهم الآلية نحو (أدهم) ، فى حين فتح (بوراندى) رتاج الزنزانة ، مستطردًا فى شماتة :

ـ إننى أتوق لرؤيته يتألَّم .

ولكنه لم يكد يضع قدميه داخل الزنزانة ، حتى وثب (أدهم) من مكانه ، على الرغم من الفوهات القاتلة المصوَّبة إليه ، وهوى على أنفه بلكمة كالقنبلة ، قائلًا :

ـ يؤسفنى أن أحرمك هذه المتعة أيها الوغد .

تراجع (بوراندى) مع الألم والمفاجأة ، وغامت الدنيا أمام عينيه ، وحاول أن يلوِّح بقبضته ، ولكن (أدهم) حطَّم أنفه بلكمة ثانية ، ثم أصاب عنقه بواحدة من ضربات (الكاراتيه) الفنية ، فترنَّح الحارس الضخم كبناء معرَّض للانهيار ، وانطلق من حلقه خوار كالثور ، وتحفَّزت سبَّابات المسلحين العشرة على أزندة مدافعهم ، ولكن (جوانزاليس) هتف بهم :

ـ لا .. لا تقتلوه .

وهنا هوى (أدهم) على فك (بوراندى) بلكمة أخيرة ، سقط لها فاقد الوعى ، وارتطم بالأرض فى عنف ، فاعتدل (أدهم) فى هدوء ، وقال :

ـ معذرة أيها الخرتيت الغبى .. لن ترى ما سيحدث .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى انقضّ عليه الرجال العشرة ، فاستدار يواجههم فى سرعة ، وحطّم فك أوّلهم بلكمة قوية ، ثم استدار يركل الثانى فى معدته ، ولكن كعوب مدافعهم الآلية هوت على رأسه فى عنف ..

وسقط (أدهم) فاقد الوعى مرة أخرى ..

ولثوان ، ران على المكان صمت رهيب ، قطعه (جوانزاليس) ، وهو يقول فى توتر شديد :

ـ احملوه إلى حجرة الاعتراف ، إلى جوار ذلك الخائن (بدروس) ، وأبلغوا دكتور (فرناندل) أننى أريد اعتراف الرجلين بأى ثمن .. هل تفهمون ؟ بأى ثمن ..

وبرقت عيناه فى غضب ..

وفى وحشية ..

* * *

لم يغرق (أدهم) فى غيبوبته طويلًا هذه المرة ..

لقد استعاد وعيه بسرعة ، وانتبه إلى أنه يرقد فوق منضدة باردة ، مقيد المعصمين والقدمين ، وقد اتصلت بكل من ذراعيه ثلاثة أسلاك رفيعة ، وإلى جواره يرقد (جون بدروس) عارى الصدر ، فوق منضدة مماثلة ، وقد تم تقييده على النحو نفسه ، واتصلت بذراعيه تلك الأسلاك

الرفيعة ، وأمامهما يقف رجل فى أوائل الخمسينات من عمره ، فى معطف أبيض ، إلى جوار جهاز تحكّم كهربى بسيط ، وسمع صوت هذا الرجل ، وهو يسأل (بدروس) :

ـ أين أخفيت الرئيس ؟

كان صوت (بدروس) يوحى بالألم والإرهاق الشديدين ، وهو يجيبه :

ـ اذهب إلى الجحيم .. لن تحصل منى على حرف واحد .

ـ مطّ الرجل شفتيه فى أسف ، واستدار يضغط زرًا فى جهاز التحكّم ، فصدرت فرقعة خافتة ، أطلق بعدها (بدروس) صرخة ألم هائلة ، وانقبضت عضلاته فى شدة ، فتقوّس ظهره على نحو بشع ، والتيار الكهربى يسرى فى جسده فى عنف لثانية أو ثانيتين ، قبل أن يوقفه الرجل ، ويقول :

ـ إنك تضطرنى لهذا يا سنيور (بدروس) .

تهاوى جسد (بدروس) على المنضدة ، وتصبّب على وجهه عرق غزير ، فقال (أدهم) فى صرامة :

ـ هل يروق لك تعذيب الآخرين ؟

استدار الرجل يتطلّع إليه فى بطء ، وقال فى هدوء :

ـ هل استعدت وعيك ؟.. لا تتعجّل الأحداث .. سيحين دورك بعد قليل .

قال (أدهم) :

ـ إنك لم تجب سؤالى بعد .. هل تستمتع بتعذيب الآخرين ، أم أنها مجرّد مهنة ؟

ابتسم الرجل فى سخرية ، وقال :

ـ وما الفارق ؟

أجابه (أدهم) :

ـ فارق ضخم ، فهذا الرجل هو أثرى أثرياء (باراجواى) ، وربما (أمريكا الجنوبية) كلها ، ويمكنه أن يمنحك مكافأة مجزية ، لو أنك ساعدتنا على الهرب من هنا .

مطّ الرجل شفتيه ، وبدت على وجهه ابتسامة غامضة ، فى حين سعل (بدروس) فى شدة ، قبل أن يقول :

ـ لا تحاول يا سنيور (أدهم) .. أنت لا تعرف الدكتور (فرناندل) كما أعرفه .. إنه لم يحصل على لقب (شيطان باراجواى) عبثًا ، فهو الرجل الذى قتل نصف الأسرى من رجال المقاومة ، من فرط التعذيب ، وأصاب النصف الآخر بعاهات مستديمة ، وجنون لا شفاء منه .. إنه مستعد لتمزيق أطرافنا ، وطهيها ، وتناول عشائه من حسائها ، دون أن يطرف له جفن .

اتسعت ابتسامة (فرناندل) ، وهو يقول :

ـ يا للإطراء !.. كم يؤسفنى أن الجدران العازلة للصوت ستحبسه بيننا وحدنا .

ثم ضغط زر جهاز التحكّم ، فأطلق (بدروس) صرخة ألم ثانية ، وتقوّس ظهره على هذا النحو البشع ، فهتف (أدهم) :

ـ أنت أكثر من رأيت فى حياتى بشاعة أيها الحقير .

ابتسم الدكتور (فرناندل) فى تلذّذ عجيب ، وهو يقول :

ـ عندما يحين دورك ستتوسّل إلىّ أن أطلق سراحك ، وعندئذ سأجعلك تلعق حذائى ، ثمنًا لقولك هذا .

انهار جسد (بدروس) ثانية ، وغرق فى بركة من العرق والألم ، وعاد (فرناندل) يسأله فى هدوء :

ـ أين أخفيت الرئيس ؟

لم يقو (بدروس) على النطق بحرف واحد ، فى حين قال (أدهم) فى صرامة :

ـ لن تعرف هذا قط .

استدار إليه (فرناندل) ، وبرقت عيناه وهو يقول :

ـ آه .. أهذا القول يعنى أنك تعلم أين الرئيس ؟

ثم نقل سبّابته إلى زر آخر ، واستطرد :

ـ ما رأيك فى جرعة صغيرة من الكهرباء ، لتنشيط ذاكرتك ، وحل عقدة لسانك ؟

وضغط الزر فى قوة ، فانتفض جسد (أدهم) ، وانقبضت عضلاته كلها بآلام رهيبة ، إلا أنه أطبق شفتيه فى قوة ، ولم يطلق صيحة واحدة ، واحتمل تلك الآلام المبرِّحة ، حتى أوقف (فرناندل) التيار ، فتهاوى جسده فى تهالك ، وبرقت عينا الرجل ثانية ، وهو يقول :

ـ رائع .. قدرة مدهشة على تحمّل الألم .. ربما ينبغى أن نزيد القوة إلى ستمائة فولت .

ارتفع صوت خشن غليظ ، يقول فى غضب واضح :

ـ اجعلها ألف فولت .

وانعقد حاجبا (أدهم) فى توتر ، عندما برز (بوراندى) بأنفه المحطَّم ، الذى تحيط به الضمادات ، والكدمات التى تملأ وجهه ، والتفت إليه الطبيب ، قائلاً :

ـ ألف فولت ؟!.. ألا تعتقد أنها أكبر مما ينبغى يا (بوراندى) ؟

نطقها فى سخرية واضحة ، فرمق (بوراندى) (أدهم) بنظرة تفيض مقتًا وكراهية ، وهو يقول :

ـ إنها مجرَّد بداية .

أدار (فرناندل) مؤشِّر القوة فى هدوء ، وهو يبتسم قائلاً :

ـ معذرة أيها المصرى .. لا يمكننى أن أغضب صديقى (بوراندى) .

أجابه (أدهم) فى برود :

ـ اذهب إلى الجحيم .

وهنا هتف (بوراندى) :

ـ بل أنت الذى سيذهب إليه أيها المصرى .

وضغط الزر بكل قوته ، واندفع ألف فولت إلى جسد (أدهم) ..

وكانت الآلام فى هذه المرة ، رهيبة .. رهيبة بحق .

★ ★ ★



٩ ـ هذا الرجل ..

سرى التيار الكهربى العنيف فى جسد (أدهم) لثانية واحدة ، تفجَّرت خلالها أبشع وأقسى الآلام فى رأس بطلنا ، الذى كتم صرخته بإرادة فولاذية ، وإن لم يمكنه منع ذلك الانقباض الرهيب ، فى كل عضلة فى جسده ، وتقوّس الظهر المؤلم ، مع ارتفاع مخيف فى نبضات القلب ..

ولكن العجيب أنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، انتبه عقل (أدهم) إلى أن القيود الجلدية ، التى تشد معصميه إلى المنضدة ، قد تمزَّقت بعض الشىء ، مع انقباض العضلات الشديد ، وبالذات قيود يده اليسرى ..

وعندما أوقف (بوراندى) التيار ، كان عقل (أدهم) قد درس هذه النقطة ، وبدأ يعد خطته ، واستعدّ لوضعها موضع التنفيذ ..

وفى شماتة وشراسة ، قال (بوراندى) :

ـ هل أعجبتك هذه الرعشة الأنيقة أيها المصرى ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، على الرغم من العرق الغزير ، الذى يغمر وجهه ، وقال :

ـ إنها تساعد على تنشيط العضلات ، ولا يفسدها سوى وجهك البغيض .

احتقن وجه (بوراندى) ، وهتف فى حنق :

ـ أنت تستحق جرعة أخرى .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة مستفزة ، وقال بسرعة ، قبل أن يضغط (بوراندى) الزر ثانية :

ـ يا لك من مقاتل صنديد !!.. أهذا هو المجال ، الذى تبرع فيه دائمًا .. أن تضغط الأزرار من بعيد لتؤذى خصمك ؟!.. أراهنك على أنك لا تجرؤ على الاقتراب منى .. حتى وأنا مقيَّد هكذا .

صاح (بوراندى) ، وهو يندفع نحوه :

ـ أنا ماذا ؟.. سأقطع لسانك هذا ، الذى يجهل كيف يتعامل مع المنتصرين فى احترام .

تشبَّث به الدكتور (فرناندل) ، وهو يقول :

ـ رويدك يا رجل .. ألم تنتبه إلى أنه يحاول استفزازك ؟

صاح (بوراندى) ، وهو يتملَّص منه فى غضب :

ـ دعه يواصل سخافاته ، حتى لا أشعر بالأسف ، وأنا أحطِّم أنفه .

واندفع مرة أخرى نحو (أدهم)، ورفع قبضته ليضربه، هاتفًا:

- خذها أيها المصرى، فأنت تستحقها.

ولكن (أدهم) كان قد استنفر قواه كلها، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (بوراندى) نحوه، وجذب قيود معصمه الأيسر، و ...

وفى اللحظة المناسبة، وقبل أن يهوى (بوراندى) بقبضته على وجهه، تمزّقت القيود، وانطلقت قبضة (أدهم) كالقنبلة، لتنفجر فى أنف (بوراندى) المحطّم..

وصرخ الضخم فى ألم شديد، وتراجع وهو يمسك أنفه، الذى تفجّرت منه الدماء فى غزارة، فى حين قفز الدكتور (فرناندل) إلى الخلف، وهتف فى ارتياع:

- يا للشيطان !.. كيف فعل هذا ؟

ووثب نحو جهاز التحكم الكهربى، ليطلق التيار مرة أخرى فى جسد (أدهم)، إلا أن هذا الأخير انتزع الأسلاك المثبتة فى ذراعه اليمنى بحركة سريعة، وهو يقول فى حزم:

- ضاعت الفرصة أيها الوغد .. خسرت دورك.

ثم انتزع قيود معصمه الأيمن، مستطردًا:

- وحان دورى أنا.

اندفع (بوراندى) نحوه مرة أخرى، وهو يصرخ:

- لن تخرج من هنا حيًا .. لن تفعل.

استقبله (أدهم) بلكمة أخرى على أنفه، ثم أمسك كتفيه، وأداره فى حركة فنية سريعة، فوجد الضخم جسده يهوى أرضًا، ويتدحرج، ثم يرتطم بالجدار ..

وفى مرونة مدهشة، وخفة تستحق الإعجاب، ثنى (أدهم) جسده إلى الأمام، وحلّ قيود قدميه بحركة سريعة، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (فرناندل) نحو باب الحجرة، صائحًا:

- النجدة يا رجال الأمن .. النجدة.

ولكن (أدهم) وثب وثبة رائعة، جعلته يتجاوز ذلك الشيطان، ويعترض طريقه إلى الباب، وهو يقول ساخرًا:

- هل نسيت أيها الوغد ؟.. الجدران عازلة للصوت.

ثم أمسك أنف الطبيب، وجذبه منه فى عنف، قبل أن يهوى على فكه بلكمة كالقنبلة، سقط لها كالحجر، دون أن ينبس ببنت شفة، فى حين اندفع (بوراندى) نحو (أدهم) مرة أخرى، هاتفًا:

- لن تنجح .. لن تنجح.

مال (أدهم) جانبًا فى مرونة، متفاديًا لكمة عنيفة، أودعها (بوراندى) كل قوته، ثم اعتدل فى رشاقة، ولكمه فى أنفه بقبضته اليسرى، ثم غاص فى معدته باليمنى، وضمّ قبضتيه معًا، وهو يقول:

- أعتقد أن أنفك لم يعد له وجود.

وهوى بقبضتيه المضمومتين على مؤخرة عنق الحارس الضخم، مستطردًا فى حزم:

- ووعيك أيضًا.

سقط الرجل على وجهه، وفقد وعيه تمامًا، فتجاهله (أدهم)، وهو يسرع لحلّ قيود (بدروس)، الذى هتف بأنفاس مبهورة:

- أنت رائع .. من المستحيل أن أصدّق ما فعلته، ما لم أره بنفسى.

انتهى (أدهم) من حل قيوده، وساعده على النهوض، وهو يقول:

- كل ما حدث لم يتجاوز هذه الحجرة، وما زلنا داخل مبنى مخابرات (باراجواى)، وليس من السهل أن نغادره.

قال (بدروس) فى حماس:

- أنا أعرف سبيل الخروج من هنا .. لقد رشوت أحد

العاملين هنا يومًا، وحصلت منه على خريطة كاملة مفصّلة للمبنى، حفظتها عن ظهر قلب ..

أومأ (أدهم) برأسه، وقال:

- سيفيدنا هذا كثيرًا، ولكن لن يكفى للخروج من هنا.

ثم ألقى نظرة على الطبيب الفاقد الوعى، قبل أن يضيف:

- إلا إذا ..

ولم يكمل حديثه، فلم يكن يميل، فى مثل هذه المواقف إلى القول..

بل إلى العمل ..

العمل الجاد ..

★ ★ ★

عقد (جوانزاليس) كفيه خلف ظهره، وهو يطالع خريطة كبيرة للعاصمة (أسوسيون)، ثم التفت إلى طاقم مستشاريه، وهو يقول:

- الرئيس لم يغادر العاصمة .. هذا ما نثق به تمامًا، ففور اختطافه بوساطة الهليوكوبتر، قمنا بتأمين حدود العاصمة، واستخدمنا وسائل الرصد والدفاع الجوى، وأغلقنا كل المنافذ، وتأكّدنا من أن الهليوكوبتر وأصحابها لم يغادروا (أسوسيون) قط، وهذا يضعنا أمام خطة محدودة لتمشيط العاصمة، والبحث عن الرئيس.

قال أحد مستشاريه فى اهتمام :

ـ لو أن سنيور (بدروس) مشترك بالفعل فى هذا العمل ، فأعتقد أنه أخفى الرئيس فى واحدة من مزارعه ، أو فى ضيعته الخاصة .

رمقه (جوانزاليس) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى بـ (لو أن) هذه ؟

ارتبك الرجل ، وهو يتمتم :

ـ احم .. أعنى أنه مشترك فى هذا العمل قطعًا .

رمقه (جوانزاليس) بنظرة نارية ، قبل أن يجيب :

ـ نظريتك بسيطة تقليدية ، وهى أوّل ما جال بخاطرى ، فأمرت فريقًا من رجالنا بتفتيش كل مكان يمتلكه (جون بدروس) .. قصره ، ومنزله الصيفى ، وضيعته ، ومزارعه ، ومكتبه ، وحتى شركة المقاولات بكل فروعها ، ولكن كل هذا لم يسفر عن شىء ، ولم نعثر على أدنى أثر يمكن أن يرشدنا إلى الرئيس .

وتنهّد فى توتر ، قبل أن يستطرد :

ـ من الواضح أن (بدروس) شخص ذكى وحريص للغاية ، كما أنه قوى العزيمة أيضًا ، فالدكتور (فرناندل) يستجوبه منذ ساعة كاملة ، ولم ينجح فى استنطاقه بعد .

حبس الجميع شهقاتهم ، عندما أتى (جوانزاليس) على ذكر (فرناندل) ، وأطلّت من عيونهم نظرة مشفقة على (بدروس) ، ولكن من حسن حظهم أن رئيسهم لم ينتبه إلى هذا ، وهو يواصل :

ـ أنا أعرف (جون بدروس) منذ حداثتنا ، وأعلم أن عذاب الدنيا كله لن يجبره على قول شىء يرفضه .

وصمت لحظات ، ثم أضاف فى حزم :

ـ وهذا لا يعنى أنه رجل كامل ، بلا نقطة ضعف ، فالواقع أن لصديقنا (بدروس) نقطة ضعف شديدة ، وهى ...

هتف أحد الرجال :

ـ ابنته (جوانيتا) .

بدت ابتسامة (جوانزاليس) أشبه بتكشيرة ذئب مفترس ، وهو يقول فى بطء :

ـ بالضبط .. نقطة الضعف الوحيدة ، التى يمكن أن تُجبر (جون بدروس) على الإدلاء بمكان الرئيس ، هى أن تقع ابنته (جوانيتا) فى قبضتنا .. وهذا ما سنسعى إليه .

وأشار بيده ، مستطردًا :

ـ سنشكّل فريقًا للبحث ، ونستعين بأحدث ما لدينا من أجهزة البحث والتقصّى ، حتى نعثر على الفتاة ، وعندئذ

لن تكون هناك أية عقبات ، لحل عقدة لسان (جون بدروس) .

قالها دون أن يدرى أن (جوانيتا) لم تكن بعيدة عنه .. لقد كانت قريبة من مبنى المخابرات فى (باراجواى) .. قريبة للغاية ..

★ ★ ★

أشعل أحد الحرّاس الخمسة ، المرابضين أمام حجرة الاعتراف ، سيجارته ، ونفث دخانها فى قوة ، قبل أن يلوّح بمدفعه الآلى ، قائلًا :

ـ كم أكره تلك الأيام ، التى يستجوبون فيها أحد المشتبه فيهم .. صحيح أن الجدران العازلة للصوت تحجب عنا الصراخ والضجيج ، ولكننا نضطر ، فى معظم الأحيان ، إلى نقل جثث الموتى بأنفسنا .

قال زميله :

ـ هذا صحيح .. ثم إننى أبغض التعامل مع ذلك الطبيب (فرناندل) ..

إنه رجل سادى بغيض ، يستمتع بتعذيب البشر وقتلهم .

هزّ الثالث كتفيه ، وقال :

ـ هل نسيت أنهم يطلقون عليه اسم (شيطان باراجواى) ؟

ضحك الرابع ، وهو يقول :

ـ وهو يستحقه عن جدارة .

فتح الخامس شفتيه لينطق عبارة ما ، لولا أن انفتح باب الحجرة فجأة ، وانبعث من داخله صوت يصرخ :

ـ النجدة .. لقد انفجر الجهاز .. النيران تنتشر فى كل مكان .

ومع الصوت ، تصاعد الدخان فى كثافة من الحجرة ، واندفع عبره رجل يرتدى معطف الطبيب الأبيض ، وآخر فى حلة (بوراندى) ، فاندفع الحرّاس الخمسة إلى الحجرة ، وهتف أحدهم :

ـ أحضروا أسطوانات الإطفاء .. بسرعة .

قفز الحراس الخمسة داخل الحجرة ، واتجهوا بأسطوانات الإطفاء نحو الركن ، الذى تشتعل فيه النيران ، بعد أن أسندوا مدافعهم الآلية إلى الجدران ، وأطلقوا المسحوق المضاد للنيران نحو الحريق ، حتى نجحوا فى السيطرة عليه ، وهتف أحدهم فى توتر ، وهو يمسح عرقه الغزير :

ـ كيف حدث هذا ؟.. إنها أوّل مرة تشتعل فيها النيران هنا .

أداروا بصرهم فى المكان، حيث رقد جسدان عاريا الصدر فوق المنضدتين المتجاورتين، ثم هتف أحدهم فى ذهول:

- يا للشيطان !!.. هذا الراقد هو الدكتور (فرناندل) نفسه.

انتبهوا جميعًا إلى الأمر بغتة، وصاح آخر فى حنق:

- والثانى هو (بوراندى) .. لقد خدعونا يا رجال.

حاولوا الخروج لمواجهة خصمهم، الذى فعل بهم هذا، ولكنهم فوجئوا بأن الباب مغلق، وأن أسلحتهم قد اختفت، فهتف ثالث فى سخط:

- لقد فعلها بنا.

وبدت الصورة واضحة أمامهم، فى هذه اللحظة، وأدركوا أن (أدهم) قد استخدم جهاز التحكم الكهربى، فى إحداث شرارة أشعلت ثيابه وثياب (بدروس)، ثم استغل ثياب (بوراندى) والطبيب لخداعهم، والفرار من حجرة الاعتراف أمام عيونهم ..

أما (أدهم)، فقد أغلق الحجرة على الحراس الخمسة، وحمل مدفعين آليين، وناول الثالث لـ (بدروس)، الذى أشار إلى ممر أمامه، وهو يقول فى حماس:

- هذا الممر يقودنا إلى سلم القبو، ولو أمكننا عبور المدخل إلى الطابق الأرضى، ستكون فرصتنا فى الفرار كبيرة.

أجابه (أدهم)، وهو يتقدّم معه عبر الممر:

- الفرار من مبنى أحد أجهزة المخابرات أمر شبه مستحيل، ولكننا ..

قبل أن يتمّ عبارته، انطلقت فجأة صفارات الإنذار فى المبنى كله، فهتف (بدروس):

- ربّاه !.. كيف نسيت هذا .. هناك جهاز إنذار فى حجرة الاعتراف، كان ينبغى أن نفسده، قبل أن نسجن الحرّاس داخلها.

ابتسم (أدهم) فى شىء من الضيق، وهو يقول:

- طريف منك أن تبلغنى هذا الآن.

ثم انطلق نحو باب القبو، مستطردًا:

- فهذا لا يضع أمامنا سوى حل واحد.

وبلا تردّد، أطلق نيران مدفعه الآلى على رتاج القبو، ثم ضرب الباب بقدمه فانفتح على مصراعيه، ومن خلفه ظهر رجال مخابرات (باراجواى)، وهم يندفعون نحو القبو ..

وضغط (أدهم) و (بدروس) زنادى مدفعيهما .. وانفتحت أبواب الجحيم ..



وبلا تردّد، أطلق نيران مدفعه الآلى على رتاج القبو، ثم ضرب الباب بقدمه فانفتح على مصراعيه ..

وفى حجرته، انتفض (جوانزاليس)، عندما بلغ دوى الرصاصات أذنيه، وصاح فى توتر شديد:

- ماذا حدث ؟!.. من يطلق النار هنا ؟

لم يكد ينطقها، حتّى اقتحم أحد الرجال الحجرة، وهو يهتف:

- سيّدى .. رجل المخابرات المصرى وسنيور (بدروس) نجحا فى الفرار، من حجرة الاعتراف، ويتبادلان إطلاق النار مع رجالنا، فى الطابق الأرضى.

اتسعت عينا (جوانزاليس) فى ارتياع، وصاح فى رجاله:

- ماذا تنتظرون .. امنعوا المصرى من مغادرة المبنى بأى ثمن.

ودق سطح المنضدة بقبضته، مستطردًا:

- أى ثمن ؟

هبّ الرجال لتنفيذ الأمر، ولكن أحدهم سأله فى حذر:

- هل نحرص على حياة المصرى و (بدروس) ؟

انعقد حاجبا (جوانزاليس) لحظة، ثم أجاب فى صرامة:

- كلّا .. لا تبقوا على أحد .. انسفوا الجميع.

وفى الدور الأرضى ، راح (أدهم) و (بدروس) يطلقان النار فى شجاعة واستماتة ، حتى أن أحدًا من رجال مخابرات (باراجواى) لم يستطع مواجهتهما ، وإن أحاطوا بالمكان إحاطة السوار بالمعصم ، لمنعهما من مغادرته ، فقال (بدروس) فى عصبية :

- لن نفلح فى هذا قط .. إننا نحتاج إلى معجزة .

أجابه (أدهم) ، وهو يطلق النار :

- دعنا نأمل حدوثها إذن .

لم يكد ينهى عبارته ، حتى ألقى أحد الرجال نحوهما قنبلة يدوية ، فصرخ (بدروس) :

- احترس .

ألقى (أدهم) أحد مدفعيه جانبًا ، ووثب وثبة مدهشة ، التقط بها القنبلة فى الهواء ، وأعادها إلى مرسلها بحركة سريعة ، وهو يهتف :

- ترد إلى الراسل .

اتسعت عيون رجال المخابرات فى ارتياع ، وتفرَّقوا يعدون فى كل مكان ، فى حين دفع (أدهم) (بدروس) جانبًا ، وهو يقول :

- تراجع يا رجل .

ومع آخر حروف كلماته دوى الانفجار ، فى قلب مبنى

المخابرات ، ووصل دويه إلى مسامع (جوانزاليس) ، الذى صاح فى غضب :

- كيف يحدث هذا هنا ؟.. إنك تحطمون سمعة جهاز مخابراتنا كله .. لقد أمرتكم بنسف الجميع بلا تردد .. هل تفهمون ؟.. انسفوا الجميع بلا رحمة .

تلقَّى الرجال الأمر ، ووضعوه موضع التنفيذ على الفور ، ولاحظ (أدهم) أنهم توقَّفوا عن إطلاق النار ، فغمغم فى قلق :

- ماذا حدث ؟.. يلوح لى أنهم يستعدون لتوجيه ضربة جديدة .

أجابه (بدروس) فى توتر شديد ، وهو يختلس النظر إلى الخارج :

- كل ما أخشاه أن ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يطلق شهقة قوية ، فأسرع (أدهم) يلقى نظرة بدوره ، وهو يقول :

- ماذا رأيت ؟

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، عندما وقع بصره على رجلين ، يحمل كل منهما على كتفه مدفعًا من طراز

(آر. بى. جى) ، ويصوبان فوهته إلى حيث يختبئ مع(بدروس) ، الذى صاح :

- إنهم يرغبون فى نسفنا .. يا لله ...

وقبل أن يتم عبارته ، كانت قنبلة تنطلق ، و ...

ودوى انفجار هائل .

★ ★ ★



١٠ - المعركة ..

انتفض جسد (بدروس) فى عنف ، مع دوى الانفجار ، وخُيِّل إليه للوهلة الأولى ، أن القنبلة قد اخترقت أحشاءه ، وانفجرت فى قلبه مباشرة ، إلا أنه لم يلبث أن انتبه إلى أنه على قيد الحياة ، وأن القنبلة التى انفجرت أصابت جدار مبنى المخابرات ، وهدمت منه ذلك الجزء ، المجاور للرجلين ، اللذين استعدا لإطلاق مدفعى الـ (آر. بى. جى) نحوه ، وسحقتهما سحقًا ، فهتف فى ذهول :

- المعجزة حدثت .

قفز (أدهم) يلتقط أحد المدفعين ، وهو يقول :

- دعنا لا نضع أثرها إذن .

ومع قوله دوت انفجارات أخرى ، فى أنحاء متفرِّقة من المبنى ، وتعالى صوت تبادل إطلاق نيران فى الخارج ، فتهللت أسارير (بدروس) ، وقال فى ارتياح :

- إنهم رجالى .. لقد هبّوا لنجدتى .

كان القتال عنيفًا بالفعل ، بين رجال المخابرات ، وفرق

المقاومة ، التى نجحت فى تدمير جزء من سور المبنى ، عبرته كتائبهم فى بسالة واستماتة ..

وقبل أن يندفع (أدهم) و (بدروس) للاشتراك فى القتال ، فوجئ الاثنان بـ (جوانيتا) تندفع عبر الجزء المهدوم من الحائط ، وهى تحمل مدفعًا آليًا صغيرًا ، ولم تكد ترى أباها ، حتى اندفعت نحوه هاتفة فى انفعال :

- أبى .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

وقفزت تتعلق بعنقه ، وهى تبكى فى حرارة ، فضمها إليه ، وهو يسألها فى دهشة :

- (جوانيتا) .. أأنت فعلت هذا ؟

أجابته ودموعها تجرى على وجنتيها :

- كان من الضرورى أن أفعل .. لا يمكننى أن أتركك وحدك هنا .. أنا أعلم ما يمكن أن يفعله بك ذلك الوحش (جوانزاليس) .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- أهنئك على ابنتك يا سنيور (بدروس) .. لقد أحسنت تنشئتها .

تخضب وجه (جوانيتا) بحمرة الخجل ، وتمتمت :

- آه .. أشكرك كثيرًا يا سنيور (أدهم) .

ثم جذبت والدها من يده ، هاتفة :

- هيًا .. أسرع يا أبى .. لابد أن نخرجك مع سنيور (أدهم) من هنا .

ومع آخر حروف كلماتها ، ارتفع أزيز هليوكوبتر تقترب ، واندفع أربعة من رجال المقاومة عبر فجوة الحائط ، وأحدهم يقول :

- أسرع يا سيدى .. لقد وصلت الهليوكوبتر .

قال (بدروس) فى صرامة :

- لن أفر من هنا ، وأترككم تواجهون النيران وحدكم .

أجابه الرجل بسرعة :

- لا تقلق بشأننا يا سيدى .. سنحمى فراركم من هنا ، ثم ننسحب مباشرة .. لقد وضعنا خطتنا اعتمادًا على هذا .

وهتفت (جوانيتا) متوسلة :

- أسرع يا أبى .. أرجوك .

وهنا جذب (أدهم) (بدروس) من يده ، وهو يقول :

- هيًا يا سنيور (بدروس) .. إنهم على حق فى هذا الشأن .

هبطت الهليوكوبتر فى هذه اللحظة ، داخل أسوار مبنى المخابرات ، وصرخ (جوانزاليس) فى غضب :

- لا تسمحوا لهم بالفرار هذه المرة .. أطلقوا النار على الهليوكوبتر ، واطلبوا طائرتين لمهاجمتها .. أسرعوا .

حاول رجال مخابرات (باراجواى) تنفيذ الأمر ، ولكن رجال المقاومة كانوا يصنعون بمدافعهم ساترًا من النيران ، لحماية الهليوكوبتر ، التى اندفع إليها (أدهم) و (بدروس) و (جوانيتا) ، وما إن استقروا داخلها ، حتى ارتفعت على الفور ، وانطلقت مبتعدة عن المبنى ، و (جوانزاليس) يصرخ :

- استدعوا طائراتنا .. أسرعوا .

أما رجال المقاومة ، فما إن شاهدوا الهليوكوبتر تتجاوز أسوار مبنى المخابرات ، حتى بدأوا انسحابهم المنظم ، فغمغم (بدروس) :

- رجالى يتصرفون بجنون هذه المرة .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- لو أننى أمتلك رجالًا بهذه الكفاءة وهذا الجنون ، لاستوليت على العالم كله .

بدا الفخر فى عينى (بدروس) وصوته ، وهو يقول :

- سأفكر فى هذا الأمر .

ثم سأل فى فضول :

- ولكن أخبرنى يا سنيور (أدهم) .. هل كانت خطتهم جيدة ، بالنسبة لاقتحام مبنى المخابرات ؟

هز (أدهم) كتفيه ، وقال :

- لقد فعلوا هذا بطريقة فريدة ، تستحق أن أشير إليها فى تقريرى ، عندما أعود إلى (القاهرة) .

قالت (جوانيتا) فى حماس :

- لا تنس أن تشير إلى أننى صاحبة الخطة .

ضمها (بدروس) إليه ، وهو يداعبها قائلًا :

- وهذا يملأ نفسى بالفخر .

هتفت فى سعادة طفولية :

- حقًا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يتطلع إليها ، وقفزت أفكاره فجأة إلى حيث ترقد (منى) ، فاقدة الوعى ، صامتة ، تصارع الموت فى كل لحظة ..

واعتصر الحزن قلبه فى مرارة ..

وسبحت ذكرياته فى بحر حزنه ، وراح يسترجع مغامراتهما معًا ، ولحظات حبهما ، وحتى تلك اللحظات التى واجها فيها الموت معًا ..

كم كانت رقيقة جميلة ..

وكم أحبها ..

إنه لم يحب فى حياته كلها سواها ، ولم يخفق قلبه إلا من أجلها ..

صحيح أنه شعر أحيانًا بالميل لأخريات ، قبل أن يلتقى بها ، ولكنه عندما عرفها ، أدرك أنه عثر أخيرًا على فتاة أحلامه ، التى امتلكت قلبه وكيانه ، و ...

قاطعه فجأة دوى رصاصات ، وصوت ارتطام بعضها بجسم الهليوكوبتر ، وصرخة الرعب التى أطلقتها (جوانيتا) ، فاعتدل بسرعة ، وهو يهتف بالطيّار :

ـ اهبط بسرعة ، وطِرْ على ارتفاع منخفض .

أطاعه الطيّار دون مناقشة ، وهو يقول فى توتر شديد :

ـ إنهما طائرتا هليوكوبتر حربيتان .. لن يمكننا الفرار منهما قط .

دوت الرصاصات مرة أخرى ، ولكنها أخطأت الهليوكوبتر ، و (أدهم) يسأل الطيّار :

ـ ما قوة تسليحك بالضبط ؟

أتاه الجواب على لسان (بدروس) ، الذى ضمّ ابنته إليه فى توتر ، وهو يقول بعصبية :

ـ هذه ليست هليوكوبتر حربية .

هتف (أدهم) :

ـ أتعنى أننا لا نملك أية أسلحة ؟!

قال الطيار فى توتر ملحوظ :

ـ هذا صحيح .

انتبه (أدهم) فجأة إلى أنه ما زال يحمل المدفع ، الذى اختطفه من رجل مخابرات (باراجواى) الصريع ، فقال فى حزم :

ـ لدينا سلاح واحد على الأقل .

ثم وضع المدفع على كتفه ، وهو يستطرد :

ـ اهبط مع ابنتك إلى قاع الهليوكوبتر يا سنيور (بدروس) ، فلا يمكننى ضمان رد ذلك المدفع .. وأنت أيها الطيار ، حاول أن تدور إلى اليسار فجأة ، ودون سابق إنذار .. هل يمكنك هذا ؟

أجابه الطيار :

ـ نعم .. متى ترغب فى هذا ؟

أجابه فى حزم :

ـ الآن .

جذب الطيار عصا القيادة إلى اليسار فى حزم ، فمالت الهليوكوبتر بحركة حادة مباغتة ، جعلتها تتفادى سيل الرصاصات ، التى أطلقتها نحوها طائرتا الهليوكوبتر الحربيتان ، فى حين دفع (أدهم) الباب المجاور له ، وصوّب المدفع إلى إحدى الطائرتين ، وضغط الزناد ..

ودوى الانفجار فى سماء (أسوسيون)، وهتفت (جوانيتا) :

ـ لقد أصبتها .

أجابها (أدهم) :

ـ هذا صحيح ، ولكننا لم نكن نمتلك سوى هذه القذيفة للأسف .

ابتعد طيار الهليوكوبتر الحربية الأخرى فى حركة غريزية مذعورة ، عندما رأى ما أصاب زميله ، إلا أنه لم يلبث أن انقضّ على الهليوكوبتر الصغيرة فى غضب ، وهو يصرخ :

ـ اللعنة !.. لقد نسفتم (ماركو) .

وضغط زر إطلاق نيران طائرته ، فانهالت الرصاصات على الهليوكوبتر الصغيرة كالأمطار ، وأصابت ذيلها وجزءًا من مروحتها العلوية ، فصرخ قائدها :

ـ لقد أصابنا .. سنسقط حتمًا .

كان قد فقد السيطرة على الهليوكوبتر تمامًا ، فراحت تدور حول نفسها على نحو مخيف ، وهو تهوى بسرعة ، وصرخت (جوانيتا) :

ـ إنها النهاية يا أبى .. سنلقى مصرعنا جميعًا .

ضمّها والدها إليه فى قوة ، وكأنه يحاول حمايتها من ذلك المصير البشع ، ولكن (أدهم) تحرّك فى سرعة ، وانتزع الطيّار من مكانه ، وهو يقول فى لهجة حازمة صارمة :

ـ لم يتم حسم هذا الأمر بعد .

اتسعت عينا الطيار فى دهشة ، عندما قفز (أدهم) يحتلّ مقعده ، وصاح فى ذعر :

ـ هل تفهم شيئًا عن قيادة الهليوكوبتر ، أم أنك ... ؟

بتر عبارته بغتة ، وقد استحال ذعره ودهشته إلى ذهول وانبهار ، عندما رأى (أدهم) يتعامل مع آلات القيادة فى سرعة وحزم ، ويستعيد السيطرة على الهليوكوبتر إلى حد كبير ، وقال (بدروس) :

ـ ربّاه !.. إنك تقود هذه الطائرة فى براعة مذهلة .

لم يحاول (أدهم) التعليق على هذا القول ، وهو يهبط بالهليوكوبتر ، محاولًا تفادى نيران الطائرة الحربية التى تطارده ، ثم قال :

ـ تشبثوا واربطوا أحزمة مقاعدكم جيدًا ، سنهبط فى منطقة الأحراش .

ثم هبط بالهليوكوبتر فى حركة مباغتة ، وهى تدور حول نفسها ، وتفادى دفعة أخرى من رصاصات الهليوكوبتر الحربية ، ثم هتف :

ـ سنهبط الآن .. تشبثوا جيدًا .

وترك الهليوكوبتر تخترق منطقة أشجار كثيفة ، وسمع الجميع صوت مروحتها ، وهى ترتطم بالأشجار ، وتتحطّم على نحو مخيف ، ولكن الأشجار نفسها أحاطت

بالهليوكوبتر ، ومنعتها من السقوط فى عنف ، فانزلقت بينها فى صوت مخيف ، وهى تحتك بالأغصان والأفرع ، و ...

وارتطمت بالأرض ..

كان الارتطام عنيفًا إلى حد ما ، ولكنه لم يكن قاتلًا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أطلقت (جوانيتا) صرخة قوية ، وشهق الطيّار ، وصاح ذاهلًا :

ـ لم أر فى حياتى كلها هبوطًا كهذا .

أما (بدروس) ، فلم ينطق بحرف واحد ، وإن شفّ وجهه المحتقن عن كل ما يعتمل فى نفسه من مشاعر وانفعالات ، فقال (أدهم) فى سرعة وحسم :

ـ أسرعوا .. سنغادر الهليوكوبتر .

قفزوا جميعًا خارج الهليوكوبتر ، وراحوا يعدون مبتعدين عنها فى توتر ، فى نفس اللحظة ، التى انقض فيها طيار الهليوكوبتر الحربية على نقطة هبوطهم ، وراح يطلق النيران فى غزارة ، ويخترق ما تبقّى من جسم الهليوكوبتر ، وخزان وقودها ..

وانفجرت الهليوكوبتر فى عنف ، واشتعلت النيران فى حطامها ، وراح طيّار الهليوكوبتر الحربية يحوم حول النيران بضع لحظات ، ثم التقط بوق جهاز اللاسلكى ، وقال :

ـ تم إسقاط الهدف فى منطقة الأحراش .. لا يمكن تأكيد مصرع الجميع .. أكرّر .

التقط (جوانزاليس) هذه الرسالة ، فانعقد حاجباه فى غضب ، وغمغم :

ـ اللعنـة !

ثم أشار إلى جندى اللاسلكى ، قائلًا فى حدة :

ـ مُره أن يستمر فى التحليق فوق المنطقة ، حتى إشعار آخر .

نقل الجندى الرسالة إلى قائد الهليوكوبتر ، فى حين التفت (جوانزاليس) إلى حارسه (بوراندى) ، الذى تغطى معظم وجهه بالضمادات ، وقال فى غضب وعصبية شديدين :

ـ هل رأيت ما فعله إهمالك وعقلك الغبى ؟!.. كنا نقبض على الأمور كلها بين أصابعنا ، ثم لم نعد نثق بشىء .

تمتم (بوراندى) :

ـ لقد باغتنى ذلك المصرى ، و ...

قاطعه فى ثورة :

ـ لا أريد أية تبريرات .. سأقطع لسانك لو نطقت بعبارة واحدة لا تروق لى .

وزفر فى حدة ، ثم استطرد :

ـ اسمع .. سأمنحك فرصة واحدة للتكفير عن خطئك هذا .

هتف (بوراندى) فى لهفة :

ـ أنا رهن إشارتك يا سيّدى .

أشار (جوانزاليس) إلى الخريطة ، وهو يقول :

ـ الطائرة سقطت هنا ، والطيار غير واثق من مصرع ركّابها ، وهذا يعنى أن سقوطها لم يكن حاسمًا ، وما دام هناك شك حول مقتل (بدروس) ورجل المخابرات المصرى ، فسأفترض أنهما على قيد الحياة ، وهذا ـ كما تعلم ـ يجعل موقفنا بالغ الخطورة ، لذا فسأصدر أوامرى فورًا بمحاصرة الأحراش ، وإطلاق النار على كل من يحاول الخروج منها ، ولدينا قوات هناك ، يمكنها تنفيذ هذا الأمر خلال عشر دقائق على الأكثر ، ولكننى سأرسلك لتقود هذه القوات ، وسأفوّضك تمامًا فى اتخاذ أى إجراء ، تضمن به سلامتى .. هل تفهم ؟

أجاب (بوراندى) فى حماس :

ـ بالطبع يا سيّدى .. بالطبع .. لن أخذلك هذه المرة .. أؤكد لك .

أشار (جوانزاليس) بيده ، قائلًا :

ـ اذهب إذن .

انطلق (بوراندى) لتنفيذ الأمر فى حماس شديد ، فى حين أملى (جوانزاليس) أوامره على جندى اللاسلكى ، لنقلها إلى معسكرات الجنود ، المحيطة بالأحراش ، ثم عاد يلتفت إلى الخريطة ، وهو يغمغم لنفسه :

ـ فليكن يا سنيور (أدهم) .. أنت و (بدروس) اللعين ربحتما هذه الجولة ، ولكن المباراة لم تنته بعد بالفعل ، وعندما تنتهى ، لن يكون هناك سوى فائز واحد ..

وبرقت عيناه ، وهو يستطرد :

ـ (جوانزاليس) .. الرئيس (جون جوانزاليس) .

وتضاعف بريق عينيه فى شدة ..

وفى شراسة ..

★ ★ ★

تأوّهت (جوانيتا) فى ألم ، وهى تستند إلى والدها ، قبل أن تغمغم فى توتر :

ـ السير وسط هذه الأحراش يؤلمنى ، فلم أعتد بعد تلك الرضوض التى أصابتنى ، من جراء سقوط الهليوكوبتر .

أجابها والدها فى حزم :

ـ هذا أفضل كثيرًا من الموت برصاصات الهليوكوبتر الأخرى .

وقال الطيار فى حماس :
ـ الواقع أننى أعترف لسنيور (أدهم) ببراعة منقطعة النظير ، فما فعله يعدّ سابقة مدهشة فى عالم الطيران الحربى .. لقد نجونا بأعجوبة من تلك الهليوكوبتر .
أشار (أدهم) إلى أعلى ، وهو يقول :
ـ ولكنها ما زالت تحوم حول المكان ، مما يوحى بأنها فى انتظار شىء ما .
سأله (بدروس) فى قلق :
ـ شىء مثل ماذا ؟
هزّ (أدهم) رأسه فى بطء ، ودارت عيناه فى المكان ، فى محاولة لاختراق حجب الظلام ، وهو يتمتم :
ـ لست أدرى ، ولكننى لو كنت فى موضع (جوانزاليس) ، لحاصرت الأحراش كلها بحثًا عنا .
ازدرد (بدروس) لعابه فى توتر ، وقال :
ـ فلنأمل ألا يفعل ، إذ أننا على مقربة من ضيعتى السرية ، حيث نخفى الرئيس (بونزا) ، ونواصل علاجه .
سأله (أدهم) :
ـ أين هى بالضبط ؟
أشار (بدروس) بيده ، وقال :
ـ إلى الشرق مباشرة .. لو تجاوزنا هذه الأحراش ، سنجد أمامنا طريقًا قديمًا نصف ممهّد ، و ...

قاطعته جلبة مباغتة ، مع صوت سيارات تقترب ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وشعر بابنته تتشبّث به أكثر ، وهى تقول فى هلع :
ـ ما هذا بالضبط ؟!
أرهف (أدهم) سمعه جيدًا ، وراح يدور برأسه فى كل الاتجاهات ، قبل أن يقول :
ـ تمامًا كما توقّعت .. رجال (جوانزاليس) يحاصرون الأحراش ، والمواقع التى يتخذونها توحى بأنهم سيستخدمون الأسلوب نفسه ، الذى كان يتبعه الأمريكيون فى (فيتنام) (★) ، وهو تمشيط الأحراش من أربع محاور رئيسية ، مع مساندات فرعية جانبية ، وهذا يعنى أننا نواجه المحور الشرقى الآن .
بد الأسى على وجه الطيّار ، وهو يغمغم :
ـ كنت أعلم أننا لن ننجو من كل هذا .
صمت (أدهم) لحظات ، ثم قال فى حزم :
ـ انفض عنك مشاعر الهزيمة هذه يا رجل ، فلم ينته الأمر بعد .

(★) فيتنام : دولة سابقة ، فى جنوب شرق (آسيا) ، معظمها جبال وهضبة وأحراش ، مناخها مدارى ، ودياناتها الرئيسية الكنفوشية والبوذية ، دارت حرب طاحنة بين نصفها الجنوبى والشمالى ، وأيدت (أمريكا) بقواتها (سايجون) ، ولكنها خسرت المعركة فى النهاية ، أمام قوات (فيت كونج) .

سألته (جوانيتا) فى لهفة :
ـ أيمكننا أن نفعل شيئًا ؟
أجابها (أدهم) :
ـ بالتأكيد .. سنشق طريقًا فى قلب المحور الشرقى ، نخرج عبره من الأحراش ، و ...
قاطعه (بدروس) فى عصبية :
ـ تتحدّث كما لو كان الأمر تقليديًا بسيطًا .
هزّ (أدهم) رأسه ، وهو يقول فى حسم :
ـ مطلقًا .. إنه أمر بالغ الصعوبة والتعقيد ، ولكن ليس أمامنا سوى تلك المحاولة ، مهما انطوت عليه من مخاطر .
ثم التفت إلى (جوانيتا) ، مستطردًا :
ـ انتظرى هنا ، مع والدك والطيّار ، و ...
قاطعه (بدروس) فى صرامة :
ـ إنك لن تذهب وحدك .. لو أن القتال حتمى ، فلن أجلس هنا فى انتظارك ، وأتركك تقاتل بمفردك .
تطلّع (أدهم) إليه لحظة فى صمت ، ثم قال :
ـ فليكن .. ستنتظر (جوانيتا) هنا ، وعليك أن تحميها بحياتك أيها الطيّار ، حتى نعود إليكما .. هل تحمل سلاحًا ؟
أجابه الطيّار بإيماءة من رأسه ، وهو يجيب فى حماس :
ـ مسدس وخنجر .

قال (أدهم) :
ـ عظيم .. استخدم الخنجر أوّلًا ، ولاتطلق النار إلا للضرورة القصوى .. هل تفهم ؟.. ليس من الجيّد أن نعلن عن وجودنا .
قال الطيّار فى حزم :
ـ اطمئن يا سيّدى .. أنا أفهم هذا .
أشار (أدهم) إلى (بدروس) ، وتحرّك الاثنان فى سرعة وخفة ، حتى اختفيا وسط الأحراش ، فغمغمت (جوانيتا) فى قلق بالغ :
ـ اتظنهما ينجحان فى عملهما هذا ؟
ابتسم الطيّار ، وهو يقول :
ـ أنا أعرف سنيور (بدروس) منذ حداثتى ، ولقد رأينا جميعًا كيف يعمل رجل المخابرات المصرى ، وأعتقد من هذا وذاك أن فرصتهما فى النجاح ليست بالضئيلة .
تنهّدت ، وهى تغمغم :
ـ أتعشّم هذا .
قالتها والقلق يعصف بنفسها ، وأذناها تلتقطان تلك الأصوات ، التى تشير إلى أن قوات (جوانزاليس) قد أصبحت قريبة ..
قريبة للغاية ..

★ ★ ★



والقلق يعصف بنفسها ، وأذناها تلتقطان تلك الأصوات ، التى تشير إلى أن قوات (جوانزاليس) قد أصبحت قريبة ..

١١ ـ الأحـراش ..

بدا الإرهاق واضحا ، على وجه مدير المخابرات العامة المصرية ، الذى لم يغادر مكتبه قط ، منذ بدأت تلك المشكلة ، وعلى الرغم من هذا فقد انهمك فى مراجعة كل الملفات والتقارير ، التى وردت عن (باراجواى) و (ألبرتـو جوانزاليس) ، ودعك عينيه بسبَّابتـه وإبهامه ، وهو يقول لأحد رجاله :

ـ الموقف شديد التعقيد بالفعل هذه المرة ، فـ (أدهم) لا يواجـه منظمـة إجراميـة ، كمـا فـعل فـى (إيطاليا) (★) ولا منظمـة جاسوسيـة عالميـة مـثل (سكوربيون) (★★) ، ولا حتى جهاز مخابرات معاد .. إنه يواجه دولة كاملة ، بكل سلطاتها وإمكانياتها ، وحيث تمتلك شرعيتها وقانونيتها ، وحتى لو قرَّروا إعدامه ، لن يمكننا عمل أى شىء لمساعدته .

قال الرجل :

ـ إنها ليست المرة الأولى ، التى يحدث فيها هذا

(★) راجع قصة (شيطان المافيا) .. المغامرة رقم ٤٨
(★★) راجع قصة (أرض الأهوال) .. المغامرة رقم ١٣

يا سيِّدى ، فلقد سبق لزميلنا (أدهم) أن واجه قوات دولة كاملة ، عندما نجح فى الفرار من المعتقل فـى (سيبيريا) (★) ، كما يقول ملفه .

تنهَّد المدير ، وهو يقول :

ـ وهذا ما نعتمد عليه تمامًا يا رجل .. مهارات (أدهم) وقدراته الخاصة ، ولكن لا تنس أنه معتقل الآن بالفعل ، داخل مبنى مخابرات (باراجواى) ، وهذا يضاعف من دقة موقفه .

هزَّ الرجل كتفيه ، وقال :

ـ ليس بأكثر مما كان عليه الموقف ، عندما تم اعتقاله فى مبنى (الموساد) نفسه (★★) ، وعلى الرغم من هذا ، فقد نجح فى الفرار منه ، فى سابقة تعدَ الأولى من نوعها ، فى تاريخ عالم المخابرات الحديث .

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال فى إرهاق واضح :

ـ وهل تعتقد أن التاريخ يمكن أن يعيد نفسه ؟

صمت رجل المخابرات ، ولم يحر جوابًا ، وهو يتطلَّع إلى رئيسه فى شىء من التردُّد والحيرة ، فلوَّح المدير بيده ، وقال :

(★) راجع قصة (القضبان الجليدية) .. المغامرة رقم ٤٥
(★★) راجع قصة (أرض العدو) .. المغامرة رقم ٩٣

ـ دعنا نترك جواب هذا السؤال للتاريخ نفسه .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الخاص على مكتبه ، فهبَّ الرجل واقفًا ، مستعدًا للانصراف ، ولكن المدير أشار إليه بالبقاء ، وهو يلتقط سمَّاعة الهاتف ، ويقول فى صوت قوى ، لا يشف قط عن حالة الإرهاق ، التى يمرّ بها :

ـ رياسة المخابرات العامة .

ثم بدا شىء من التوتر على ملامحه ، بعد أن استمع إلى صوت محدِّثه ، وقال :

ـ نعم يا سيادة رئيس الوزراء .. نحن ندرس الموقف كله .

أجابه رئيس الوزراء عبر الهاتف :

ـ لقد أصدرنا بيانًا رسميًا ، ننفى فيه كل ما نسبه إلينا (جوانزاليس) ، بل وتقدَّمنا بشكوى لمجلس الأمن ، نتهمه فيها بمحاولة التشهير بنا ، وأرسلت وزارة الخارجية احتجاجًا رسميًا ، على ما أصاب مندوبها (أدهم) ، ولكن (جوانزاليس) قرَّر أنه سيذيع كل ما لديه من أدلة ، تثبت إدانة رجلنا .

قال المدير فى لهجة متماسكة :

ـ وصلنى تقرير بهذا يا سيادة رئيس الوزراء ، ونحن ندرس الموقف بناء على ما ورد فيه .

سأله رئيس الوزراء فى توتر :

ـ وما الذى تتوقَّع أن تتوصَّل إليه بعد الدراسة .. دعنى أذكِّرك بأن الموقف متوتر ودقيق ، وحساس للغاية .

شعر مدير المخابرات بالضيق ، وهو يجيب :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا يا سيِّدى .

صاح رئيس الوزراء :

ـ ولكن رجلنا ما زال بين أيديهم .

وضع المدير يده على بوق الهاتف ، وهو يزفر فى ضيق ، وهمَّ بإجابة رئيس الوزراء ، لولا أن ارتفع صوت جهاز (الفاكسميلى) على مكتبه ، فأسرع رجل المخابرات يلتقط الرسالة الواردة ، ولم يكد يلقى نظرة عليها ، حتى برقت عيناه فى شدة ، فأشار إليه المدير بيده فى لهفة ، ليناوله إياها ، ورئيس الوزراء يقول :

ـ ألديكم وسيلة لتغيير هذا الموقف السخيف ؟!

قرأت عينا المدير بسرعة البرقية ، التى تقول فى وضوح : إن هجومًا قد وقع على مبنى مخابرات (باراجواى) ، بوساطة رجال المقاومة ، وأسفر عن فرار (أدهم) و (بدروس) من معتقلهما هناك ، فتألقت عينا المدير بدورها ، ورئيس الوزراء يهتف فى عصبية :

ـ لماذا لا تجيب يا رجل ؟.. هل توجد وسيلة لتغيير هذا الموقف السخيف ؟

أجابه المدير فى حزم وثقة ، وهو يلوِّح بالبرقية :

ـ لقد تغير الموقف بالفعل يا سيادة رئيس الوزراء ، ورجلنا لم يعد فى قبضة (جوانزاليس) .

هتف رئيس الوزراء فى انفعال شديد :

ـ أحقًّا ما تقول ؟!

أجابه المدير :

ـ نعم يا سيِّدى .. واستنادًا إلى خبرتى السابقة فى التعامل مع (أدهم صبرى) ، والنتائج التى حقَّقها فى عمليات سابقة ، أكاد أشعر بالشفقة على (ألبرتو جوانزاليس) .

قال رئيس الوزراء فى دهشة :

ـ ماذا تقول يا رجل ؟!.. إنك تتحدَّث عن رئيس مؤقَّت لدولة .

هزَّ مدير المخابرات رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل أتحدَّث عن رجل مخابرات يعمل ضمن صفوفنا ، ويحمل ملفه لقبًا خاصًا يا سيادة رئيس الوزراء .

وبرقت عيناه مرة أخرى ، وهو يستطرد :

ـ لقب (رجل المستحيل) ..

★ ★ ★

تحرَّك رجال القوات الخاصة لجيش (باراجواى) فى حرص وتحفُّز ، عبر منطقة الأحراش الكثيفة ، وانقسموا

كالمعتاد إلى مجموعات صغيرة ، تتكوَّن كل منها من ثلاثة جنود ، مدججين بالأسلحة والقنابل اليدوية ، ومدربين على كل وسائل القتال الحديثة ، وغمغم رجل من إحدى المجموعات فى توتر ، وهو يتحرَّك إلى جوار زميليه :

ـ ألديكما فكرة عما نواجهه بالضبط ؟

أجابه أحد زميليه :

ـ سمعتهم يقولون : إن بعض رجال المقاومة يختفون وسط الأحراش .

قال الثانى بسرعة :

ـ خطأ .. القائد نفسه أخبرنى أن (جون بدروس) يختبئ هنا فى الأحراش ، مع رجل المخابرات المصرى ، الذى حاول اغتيال الرئيس ، ومهمتنا القضاء عليهما تمامًا .

هزَّ الأوَّل رأسه ، وقال :

ـ لست أدرى لماذا أرفض تصديق تورّط رجل مثل (جون بدروس) ، فى مثل هذه الأمور !.. إنه رجل أعمال ناجح ، وملياردير معروف ، ثم إن مواقفه الوطنية تؤكِّد أنه ليس بخائن ، ولا يمكنه أن يقتل الرئيس (بونزا) ، أو يخطِّط حتى لهذا .

ضحك الثانى ، وهو يقول :

ـ لو أننى فى موضعه لقتلت (جوانزاليس) نفسه .

همَّ الثالث بقول شىء ما ، لولا أن سمع الثلاثة فجأة صوتًا يقول :

ـ هذا ما أسعى إليه الآن .

استدار الجنود الثلاثة فى سرعة ، يصوِّبون أسلحتهم إلى مصدر الصوت ، ولم يكد بصرهم يقع على صاحبه ، حتى هتف الأوَّل :

ـ ربَّاه !.. إنه سنيور (بدروس) .

رفع الثانى والثالث فوهتى مدفعيهما بسرعة ، وهتف أحدهما :

ـ لا تتحرَّك يا سنيور (بدروس) .. أنت أسيرنا .

فرد (بدروس) كفيه ، وهو يقول :

ـ رويدك يا فتى .. أنا أعزل تمامًا كما ترى ، ولكننى أشك فى أن تنجحوا فى أسرى .

تبادلوا نظرة سريعة ، ثم قال أحدهم فى صرامة :

ـ وكيف يمكنك أن تفلت منا يا سنيور (بدروس) ؟.. هل تتوقَّع معجزة من السماء ؟

ابتسم (بدروس) ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

ـ ولِمَ لا ؟!.. ربما هبطت الآن على رءوسكم .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى قفز (أدهم) من الشجرة المجاورة ، وهبط على رءوس الجنود الثلاثة كالصاعقة ، ومع هبوطه حطّمت قبضته فك أوّلهم ، وأطاحت قدمه بمدفع الثانى ، وما إن استقرّ بينهم ، حتى لكم الثالث فى أنفه بكل قوته ، ثم دار على قدم واحدة فى مهارة مدهشة ، وركل الثانى فى أنفه وفكه ..

ومع المفاجأة وقوة وسرعة الضربات ، هوى الجنود الثلاثة فاقدى الوعى ، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، وارتفع حاجبا (بدروس) فى دهشة ، لم تلبث أن تحوّلت إلى إعجاب واضح ، وهو يقول :

ـ ستظل تبهرنى دائمًا يا سنيور (أدهم) .

أجابه (أدهم) ، وهو يجرّد أحد الجنود من أسلحته وملابسه العسكرية :

ـ أشكرك يا سنيور (بدروس) ، ولكن دعنا نؤجّل عبارات المديح هذه لما بعد ، أما الآن فسنجرّد هؤلاء من ثيابهم وأسلحتهم ، ثم نقيّدهم فى إحكام ، إلى جذع هذه الشجرة .

سأله (بدروس) ، وهو يؤدى هذا العمل فى سرعة :

ـ هل عثرنا على مخرج هكذا ؟

أجابه (أدهم) :

ـ ليس تمامًا ، ولكننا شققنا ممرًا وسطهم على الأقل ، وسنحاول خداعهم للحصول على المزيد ، والخروج من دائرة الحصار .

سأل (بدروس) :

ـ وكيف هذا ؟

بدأ (أدهم) يرتدى الزى العسكرى لأحد الجنود ، وهو يجيبه :

ـ سنتنكّر فى زيهم العسكرى ، ونعود لالتقاط (جوانيتا) والطيّار ، ثم نتحرّك نحو الشرق مباشرة ، ولأن الطيّار لن يرتدى زيًا عسكريًا مثلنا ، فسنتظاهر بأنه أسيرنا ، إذا ما قابلنا مجموعة ثلاثية أخرى ، وعندما نقترب منها سنباغتها بالهجوم ، ونستولى على ثيابها وأسلحتها ، حتى نبلغ نهاية الأحراش ، وسنجد هناك حتمًا وسيلة لاستكمال الفرار .

هزّ (بدروس) رأسه ، وابتسم قائلًا :

ـ كم أتمنى لو سارت الأمور دائمًا بالبساطة نفسها ، التى تشرح بها خططك يا سنيور (أدهم) .

لم يجب (أدهم) هذه المرة ، وإنما استخدم بعض الحبال والأسلاك ، التى يحملها الجنود الثلاثة ، لتقييدهم

إلى جذع الشجرة ، ثم كمّم أفواههم ، وأشار بيده إلى (بدروس) ، وبدأ الاثنان تحركهما إلى داخل الأحراش ، لاستعادة (جوانيتا) والطيّار ..

واستغرقت رحلة عودتهما عشر دقائق فحسب ، ولكن (بدروس) قال فى قلق :

ـ أين (جوانيتا) والطيّار ؟!.. المفروض أن يكونا هنا .

توقف (أدهم) ، وتلفّت حوله فى قلق ، نجح فى إخفائه فى صدره وصوته ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. ربما شعرا بالخطر ، واختفيا فى مكان آخر ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، وتحرّك فى سرعة نحو نقطة قريبة ، فسأله (بدروس) فى توتر :

ـ ماذا رأيت ؟!.. ماذا حدث ؟

انحنى (أدهم) يفحص الأغصان المكسورة ، والأعشاب المهروسة ، قبل أن يجيب فى ضيق واضح :

ـ لقد حدثت معركة هنا .. رجل أو رجلان ، و ...

وبتر عبارته مرة أخرى ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، ويزيح بعض الأغصان جانبًا ، فاتسعت عينا (بدروس) فى شدة ، وأطلق شهقة هلع وارتياع ، وهو يحدّق فى جثة الطيّار ، الذى ذبحه أحدهم ، وقطع عنقه من الأذن إلى الأذن ، ثم ألقاه وسط الأحراش ..

وفى ذعر شديد ، هتف (بدروس) :

ـ و (جوانيتا) ؟!.. أين ابنتى (جوانيتا) ؟!

ولكن ابنته كانت قد اختفت ..

اختفت تمامًا ..

* * *

جنّ جنون (جون بدروس) ، عندما لم يعثر على ابنته ، فراح يدور حول نفسه ، ويهتف فى ثورة :

ـ أين ذهبت (جوانيتا) ؟!.. ما الذى فعله بها هؤلاء الأوغاد ؟!

وحاول (أدهم) تهدئته ، وهو يقول :

ـ رويدك يا سنيور (بدروس) .. من الواضح أنهم لم يقتلوا (جوانيتا) .. لقد قتلوا الطيّار وأسروها .

صرخ (بدروس) :

ـ أسروها ؟!.. هل تعتقد أن هذا يسعدنى ؟!.. أنت لا تعرف هؤلاء الأوغاد .. إنهم وحوش .. وحوش آدمية ، وابنتى بين أيديهم .. هل تدرك ما الذى يمكن أن يفعلوه بها .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ اطمئن يا سنيور (بدروس) .. لو أنهم مسّوا شعرة واحدة منها ، فسوف ..

قاطعه صائحًا :
ـ شعرة واحدة ؟!.. يا لك من متفائل !.. سيسعدنى كثيرًا لو أنهم فقط حافظوا على آدميتها .. لقد أخذوا ابنتى يا رجل .. أخذوا ابنتى .. أين (جوانيتا) أيها الأوغاد ؟.. أين هى ؟..
كان صوته يتردد فى الغابة ، على نحو يكفى لجذب كل جندى إلى موقعهما ، وعلى الرغم من هذا فلم يكتف (بدروس) بالصراخ ، وإنما ضغط زناد مدفعه صارخًا :
ـ أين هى ؟
وتردد دوى الرصاصات يشق الأحراش ، وبدا من الواضح أن فرق القوات الخاصة لجيش (باراجواى) ستنقض عليهما خلال دقائق معدودة ، لذا فقد صاح (أدهم) فى صرامة وهو يجذب (بدروس) إليه :
ـ كفى يا رجل .. كفى .
استدار إليه (بدروس) فى غضب جنونى ، وهو يصرخ :
ـ أنت المسئول .. أنت المسئول عما أصابها .
وصوب فوهة مدفعه إلى صدر (أدهم) ، الذى لطم ماسورة المدفع بيده اليسرى فى سرعة ، ثم هوى على فك (بدروس) بلكمة صاعقة ، وهو يقول :
ـ معذرة يا رجل ، ولكنك اضطررتنى لهذا .

ترنح (بدروس) فى دهشة وألم ، ولكن (أدهم) أصابه بلكمة أخرى ، لا تقل قوة عن سابقتها ، فهوى الرجل فاقد الوعى ، واستقبله (أدهم) بين ذراعيه ، وعلى مقربة منه صوت يهتف :
ـ التفوا حول هذه النقطة .. الرصاصات انطلقت منها .
أسرع (أدهم) يحمل (بدروس) على كتفيه ، وهو يغمغم :
ـ سامحنى يا سنيور (بدروس) ، ولكن ليس أمامى سوى ما سأفعله .
وتحرك بسرعة فى اتجاه الشرق ، متخذًا مسار المجموعة الثلاثية ، التى أسقطها من قبل ، ولكنه لم يكد يتجاوز المكان بعشرة أمتار ، حتى وجد أمامه مجموعة أخرى من ثلاثة جنود أدهشتهم رؤيته ، وهو يرتدى زيًا عسكريًا مماثلًا لهم ، فهتف به أحدهم فى صرامة :
ـ من أنت يا رجل ؟.. ومن هذا الذى تحمله ؟
أجابه (أدهم) فى سرعة :
ـ لقد هاجمنا بعضهم ، وقتلوا أحد زملائى ، وأصابوا هذا ، وأنا أسرع به إلى المؤخرة ، ليتم إسعافه .
سأله الرجل فى شك :
ـ ما رقمك أيها الجندى ؟ وما رقم وحدتك ؟

قال (أدهم) :
ـ اطمئن يا سيدى .. إننى أحمل هويتى .
ثم رفع مدفعه بغتة ، مستطردًا :
ـ ها هى ذى .
تحرك الجنود الثلاثة فى سرعة ، ورفعوا فوهات مدافعهم ، ولكن رصاصات (أدهم) انطلقت أولًا ، وأطاحت بالمدافع الآلية الثلاثة ، واخترقت الأذرع والسيقان ، فسقط الجنود الثلاثة أرضًا ، وأسرع (أدهم) يتجاوزهم بحمله ، ويمضى به نحو الشرق ، وسط الأحراش الكثيفة ..
وفى ألم ، هتف أحد الجنود :
ـ هل سنتركه يمضى ؟
أجابه زميله فى حنق :
ـ وما الذى يمكننا أن نفعله ؟!.. لقد أصاب كل جزء فينا .
قال الثالث فى ألم ، يمتزج بالكثير من الدهشة :
ـ ولكنه لم يحاول قتلنا .. وهذا ما يدهشنى .
قالها وعيناه تتابعان (أدهم) ، حتى اختفى بين الأحراش تمامًا ..

وفى خطوات سريعة حاسمة ، عبر (أدهم) الأحراش ، حتى بلغ حافتها ، فتوقف يختلس النظر إلى ثلاث من سيارات الجيب العسكرية ، توقفت بجنودها التسعة لحراسة المخرج .
وراقب (أدهم) السيارات الثلاث جيدًا ، وأحصى الأسلحة والجنود ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول :
ـ على بركة الله .
ثم اندفع خارج الأحراش ، هاتفًا :
ـ أسرعوا .. هذا الرجل يحتاج إلى إسعاف .
استدارت إليه فوهات المدافع التسعة كلها فى اللحظة الأولى ، إلا أن الزى الذى يرتديه ، واللهجة التى نطق بها عبارته ، أزالا شكوك الجنود على الفور ، فخفضوا أسلحتهم ، وتركوه يعدو نحو إحدى السيارات الثلاث ، ويضع داخلها جسد (بدروس) ، ثم سأله أحدهم :
ـ لقد سمعنا دوى رصاصات فى الداخل .. هل حدثت اشتباكات مع الإرهابيين ؟
أجابه (أدهم) ، وهو يقفز إلى مقعد قيادة الجيب :
ـ نعم .. إنهم يتقاتلون هناك .
صاح به الرجل :
ـ انتظر يا هذا .. ليس من حقك أن تقود هذه السيارة .

ولكن (أدهم) دفعه بقدمه فى قوة ، ثم رفع مدفعه الآلى فى سرعة ، وأطلق رصاصاته على سيارة (الجيب) المجاورة له ، وهو يضغط دوّاسة الوقود بكل قوته ..

وانطلقت السيارة وإطاراتها تطلق صريرًا عاليًا ، فى نفس اللحظة التى انفجر فيها خزان وقود السيارة الثانية ، الذى أصابته رصاصات (أدهم) ، وصرخ الجنود فى دهشة وغضب :

ـ إنه الجاسوس .

وانطلقت رصاصاتهم خلف (الجيب) ، التى انطلق بها (أدهم) بسرعة ومهارة كبيرتين ، وفى مسار متعرّج ، طاشت له معظم رصاصاتهم ، فقفز أربعة منهم داخل السيارة المتبقية ، وانطلقوا خلفه ، ولكن (أدهم) تمتم وهو يلمحهم فى مرآة السيارة :

ـ معذرة أيها السادة .. ليس لدى وقت لمطاردات سخيفة .

وأدار عجلة القيادة فى قوة ومهارة ، فدارت سيارته حول نفسها على نحو مخيف ، ثم انطلقت فى مواجهة السيارة الأخرى ، التى بوغت ركابها بهذه المبادرة العجيبة ، فصرخ قائدهم :

ـ ما الذى يفعله هذا المجنون ؟

امتزجت آخر حروف كلماته بدوى رصاصات المدفع الآلى ، الذى يحمله (أدهم) ، وصوت ارتطامها بمبرّد سيارتهم ، فضغط سائقها دوّاسة الفرامل فى حركة آلية ، وتوقّفت السيارة فى عنف ، قذف أحد الجنود خارجها ، فى حين استدار (أدهم) بسيارته مرة أخرى ، وانطلق بها نحو الشمال ، ورصاصات الجنود تلاحقه ، حتى اختفى وسط الظلام ، فقال أحد الجنود فى حنق :

ـ لقد تركناه يهرب .. الرئيس (جوانزاليس) لن يغفر لنا هذا قط .

أجابه قائده :

ـ إنه لن يذهب بعيدًا .. لقد انطلق نحو الشمال .. سنبلغ قيادتنا بمساره ، وسيعثرون عليه حتمًا .

قالها ، دون أن يدرى أن (أدهم) قد انطلق نحو الشمال لكيلو متر واحد ، ثم أطفأ أنوار سيارته ، وعاد أدراجه فى هدوء ، حتى بلغ ذلك الطريق نصف الممهّد ، الذى أشار إليه (بدروس) ، ثم انطلق عبره نحو الشرق مباشرة .

كان جرح الرصاصة ، التى أصابه بها (بوراندى) فى المستشفى يؤلمه ، وينزف مرة أخرى ، ولكنه لم يتوقّف لحظة واحدة ، حتى بلغ تلك الضيعة ، التى حدّثه عنها (بدروس) ، وعلى بوّابتها الخارجية استقبله حارسان مسلحان ، استوقفا سيارته ، وقال أحدهما فى غلظة :

ـ هذه أملاك خاصة .. لا شأن للجيش بها .

أجابه (أدهم) فى توتر :

ـ لا تجعل هذا الزى يخدعك يا رجل .. لست أنتمى إلى جيش (باراجواى) .. وهذا الرجل الفاقد الوعى إلى جوارى ، هو رئيسكم (جون بدروس) بشحمه ولحمه .

تبادل الرجلان نظرة ملؤها الارتياع والهلع ، وأسرع أحدهما يفحص (بدروس) ، ثم هتف بزميله ، وهو يقفز داخل السيارة :

ـ إنه على حق .. هذا سنيور (بدروس) .. افتح البوّابة يا رجل .. أسرع بالله عليك .

ضغط الحارس الثانى زرًا خفيًا ، فانفتحت البوّابة ، وانطلق (أدهم) بسيارته عبرها ، والحارس الأوّل يرشده قائلًا :

ـ تجاوز تلك النخلة هناك ، وانحرف إلى اليسار ، وتوقّف أمام الحظيرة .

انطلق (أدهم) فى المسار الذى حدّده الرجل ، وتوقّف أمام الحظيرة القديمة ، وهو يقول :

ـ والآن ماذا بعد .

قفز الحارس من السيارة ، وضغط حجرًا من أحجار جدار الحظيرة القديمة ، فانزاح الجدار كله إلى اليسار ، ثم

ارتفع جزء من أرضية الحظيرة ، ليكشف مصعدًا مفتوحًا ، أشار إليه الحارس هاتفًا :

ـ هيا .. سنحمل سنيور (بدروس) إلى هناك .

عاونه (أدهم) على حمل (بدروس) إلى المصعد ، الذى بدا أنيقًا نظيفًا ، فضغط الحارس زرًا داخله ، ليهبط بهما المصعد ثلاثة أمتار ، ثم يتوقّف أمام صالة كبيرة ، أشبه بصالات استقبال المستشفيات ، وأسرع اثنان من الأطباء يستقبلان (بدروس) ، وأحدهما يسأل فى قلق :

ـ ماذا أصاب سنيور (بدروس) ؟.. ولماذا يرتدى هذه الثياب ؟

أجابه (أدهم) :

ـ إنه فاقد الوعى فحسب .. اطمئن .

تأوّه (بدروس) فى هذه اللحظة ، وهتف :

ـ (جوانيتا) .. أين (جوانيتا) ؟

ربّت (أدهم) على كتفه ، قائلًا :

ـ اطمئن يا سنيور (بدروس) .. سنستعيدها بإذن الله .

انتفض جسد (بدروس) فى عنف ، وفتح عينيه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، الذى تابع :

ـ يؤسفنى أن أفقدتك وعيك ، ولكن ..

قاطعه (بدروس) ، وهو يصرخ فجأة فى غضب :
ـ ألقوا القبض على هذا الرجل .
ولم يكد ينطقها ، حتى ارتفعت فوهات مدافع الحراس الثلاثة فى المكان نحو (أدهم) ، وتحفزت السبابات على الأزندة ، و ...
وتكهرب الموقف كله .

★ ★ ★



١٢ ـ نقطة الضعف ..

أطلت نظرة مخيفة من عينى (جوانزاليس) ، وبدت ابتسامته أكثر إثارة للرعب ، وهو يتطلع إلى (جوانيتا) ، قائلًا :
ـ آه يا (جوانيتا) العزيزة .. كم يسعدنى أن أستقبلك فى مكتبى .
قالت (جوانيتا) فى حدة :
ـ تستقبلنى ؟!.. لا داعى لتغليف الموقف بغلاف من السكر يا (جوانزاليس) .. الحقيقة أنك اختطفتنى ، كما يفعل أى مجرم حقير ، وأتيت بى إلى هنا مكرهة .
رفع حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهو يقول :
ـ أهكذا تتحدثين إلى عمك (ألبرتو) ؟
قالت فى استهجان :
ـ عمى ؟!.. إننى أفضل الموت ، على أن يكون لى عم مثلك .
قهقه ضاحكًا ، قبل أن يقول :
ـ ماذا أصاب (جوانيتا) الصغيرة ، التى طالما أهداها

عمها (ألبرتو) قطع الحلوى والشيكولاتة ؟.. لقد فسدت براءتها ، وصارت نسخة طبق الأصل من والدها (جون) .. عصبية متهورة ، وحمقاء .
قالت (جوانيتا) فى غضب :
ـ والدى ليس أحمق .
صاح بها (جوانزاليس) بغتة ، وهو يضرب مكتبه بقبضته :
ـ بل هو كذلك .
تراجعت مذعورة ، فتابع فى ثورة :
ـ ماذا تطلقين على ما فعله إذن ، لو لم يكن حماقة ؟.. ما الذى يدفع مليارديرًا مثله إلى إنشاء فرق للمقاومة وتزعمها ؟
استعادت شجاعتها ، وهى تهتف فى وجهه :
ـ ديكتاتوريتك .
جاء دوره ليتراجع فى دهشة ، وهو يهتف :
ـ ديكتاتوريتى ؟!.. هل تقولين إنه فعل كل هذا من أجلى ؟!
قالت فى ازدراء :
ـ ألديك شك فى هذا ؟
انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :
ـ لماذا حرص على صداقتى إذن ، كل هذا الوقت ؟

ابتسمت فى سخرية ممزوجة بالاحتقار ، وهى تقول :
ـ لأنه كان يحصل منك على كل المعلومات التى يحتاج إليها لمقاومتك .. هل عرفت لماذا أيها العبقرى ؟.. قل لى إذن : من الأحمق فى رأيك ؟
احتقن وجهه ، وهو يتطلع إليها فى غضب ، ثم سأل (بوراندى) :
ـ كيف عثرت عليها ؟
أجابه حارسه الضخم فى زهو :
ـ لقد اقتحمت الأحراش وحدى ، ورحت أمشطها كما تعلمنا ، وفجأة وجدتها أمامى ، مع شخص آخر ، هاجمنى فى شراسة ، عندما أردت أن أقترب منها ، ولكنه لم يصمد أمام قوتى ، فذبحته كالنعاج ، وهاجمت تلك المتوحشة ، التى قاتلتنى فى شراسة أكبر ، وخمشت وجهى بأظفارها ، قبل أن أضربها على رأسها ، وأفقدها وعيها ، وآتى بها إلى هنا .
ثم أطلت من عينيه نظرة شرهة ، وهو يسأل :
ـ هل سأحصل على مكافأة نظير هذا يا سيدى ؟
مط (جوانزاليس) شفتيه ، ولوح بكفه ، قائلًا :
ـ أنت تستحقها هذه المرة .
تهللت أسارير (بوراندى) ، ولكن (جوانيتا) قالت متحدية :

- حاول أن تنعم بالمكافأة أيها الخنزير ، فما إن تقع فى قبضة أبى حتى ..

هوى (جوانزاليس) على وجهها بصفعة قاسية ، قتلت باقى العبارة فى حلقها ، فاحتقن وجهها فى شدة ، وهى تحدّق فى وجهه بدهشة وألم ، ومال هو بوجهه نحوها ، وهو يقول فى صرامة مخيفة :

- إياك أن تنطقى بحرف واحد ، دون أن أسمح لك بهذا .. إنك لست فى إحدى ممتلكات والدك .. أنت أسيرة هنا ، ونحن لم نعتد التعامل مع أسرانا بمثل هذا الرفق .. كلمة واحدة زائدة وأرسلك إلى الدكتور (فرناندل) .. هل تفهمين ؟

ارتجف جسدها مع ذكر (شيطان باراجواى) ، الذى سمعت الكثير عن فظائعه ، واختنقت فى عينيها وحلقها دموع الألم والخوف والمهانة ، واعتدل (جوانزاليس) ، وهو يشير إلى (بوراندى) ، قائلًا :

- أرسل فرقتين لحماية مبنى الإذاعة والتليفزيون ، وأحضر سيارة الرئيس المصفحة ، فسألقى بيانًا الآن .

أسرع (بوراندى) لتنفيذ الأمر ، فى حين التفت (جوانزاليس) إلى (جوانيتا) ، وقال فى صرامة :



هوى (جوانزاليس) على وجهها بصفعة قاسية ، قتلت باقى العبارة فى حلقها ، فاحتقن وجهها فى شدة ..

- والآن يا (جوانيتا) الصغيرة سأرسلك إلى زنزانة نظيفة ، من تلك الزنزانات ، التى ندخرها للمقربين ، ولكن لو لم يستسلم والدك ، ويأتى بنفسه إلى هنا ، ويقبّل قدمىّ ، سأنقلك مساء الغد إلى زنزانة أخرى ، إلى جوار حجرة الاعتراف .

انتفض جسدها مرة أخرى فى عنف ، وراحت ترتجف فى رعب هائل ، وهى تتخيّل نفسها بين يدى الدكتور (فرناندل) ..

شيطان (باراجواى) ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (أدهم) فى غضب ، عندما صوّب الحراس الثلاثة أسلحتهم نحوه ، وقال فى صرامة :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط يا (بدروس) ؟

صاح (بدروس) فى وجهه :

- أنت المسئول عن كل ما حدث .. أنت أضعت ابنتى .. أنت أيها الخائن الجاسوس .

قال (أدهم) :

- خائن وجاسوس ؟!.. أى قول هذا يا (بدروس) ؟.. لو أننى خائن وجاسوس ، فلماذا فعلت كل هذا ؟ ولماذا أنقذت حياتك ، وأتيت بك إلى هنا ؟

هتف (بدروس) فى عصبية شديدة :

- إنها خطة ذكية ، لم أنتبه إليها فى البداية ، ولكننى أعلم الآن ما الذى فعلته بالضبط .. لقد أطلقت النار على الرئيس ، وحاولت قتله مرة ثانية فى المستشفى ، لولا أن سبقناك إلى هناك ، وأنقذنا الرئيس من مؤامرتك الحقيرة ، وبعدها تظاهرت بأنك تعمل معنا ، حتى نرشدك إلى مخبأ الرئيس ، فتقتله شر قتلة .

ثم صرخ فى ثورة :

- ولكننا لن نسمح لك .. لن نسمح لك أبدًا .. سنعذّبك أشد العذاب ، حتى تعترف بالمكان الذى أرسل إليه رؤساؤك ابنتى (جوانيتا) .. هل تفهم ؟

قال (أدهم) فى غضب :

- إذن فأنت تتصوّر أننى فعلت كل هذا لأصل إلى الرئيس .

لوّح (بدروس) بسبّابته فى وجهه ، وهو يصرخ :

- لا يوجد تفسير آخر ، وسأجبرك على الاعتراف ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، تحرّك (أدهم) بغتة ، فجذب ماسورة مدفع أحد الحراس الثلاثة ، وأزاحها جانبًا ، وهو يثب ليركل المدفع من يد الثانى ، ثم دار حول نفسه بسرعة

ومهارة مدهشتين ، وانتزع المدفع من يد الرجل ، وهو يركل الحارس الثالث فى وجهه بكل قوته ، ويسقطه فاقد الوعى ..

واستدار الحارسان الآخران لقتاله ، بعد أن أفقدهما سلاحيهما ، ولكنه هوى على فك أولهما بلكمة ساحقة ، ثم التقط قبضة الثانى ، ولوى ذراعه خلف ظهره فى قسوة ، وهو يضرب الأول بقدمه ، ويدفع رأسه ليرتطم بالجدار ، قبل أن يهوى على مؤخرة عنق الثانى بلكمة عنيفة أفقدته الوعى ..

وفى مرونة مدهشة ، انحنى (أدهم) يلتقط أحد المدافع الآلية ، ثم وثب عبر الصالة ، وركل باب حجرة العناية المركزة ، التى يرقد داخلها الرئيس (بونزا) ، وصوب المدفع إليه ، وصاح فى (بدروس) :

– والآن ما الذى ينقصنى لتنفيذ خطتى ؟.. أن أضغط الزناد .

احتقن وجه (بدروس) فى شدة ، وشحبت وجوه فريق الأطباء ، ولكن (أدهم) ألقى المدفع أرضًا ، وهو يستطرد :

– هل يقنعك هذا بأننا نسعى للهدف نفسه يا (جون بدروس) .

ارتجفت شفتا (بدروس) لحظات ، ثم خفض عينيه ، وهو يقول فى صوت أقرب إلى البكاء :

– اعذرنى يا سنيور (أدهم) .. لقد فقدت سيطرتى على أعصابى ، وقدرتى على التفكير المنطقى لبعض الوقت ، ولكن الصدمة كانت قاسية جدًا على نفسى .. لن يمكنك أن تتصوّر أبدًا شعور المرء ، عندما يفقد إبنًا ..

خفق قلب (أدهم) فى عنف ، مع العبارة التى نطق بها (بدروس) ، واستعاد ذهنه فى جزء من الثانية تلك اللحظات ، فى وكر (سونيا جراهام) ، فى جزيرة (هيل) ، وهى تصرخ فى جنون :

– ابنى سيصحبنى إلى أى مكان أذهب إليه يا (أدهم) .. حتى ولو كان هذا المكان هو الجحيم نفسه .

وتداعت به الذكريات فى سرعة ، حتى اللحظة التى انتهت فيها من العد التنازلى ، وضغطت زر التفجير ، و ... (★)

وانتفض جسده فى عنف ، ودوى الانفجار يتردّد فى أذنيه ، وغرق فى موجة عارمة من الألم والحزن ، ولكنه كتم هذا فى أعماقه ، وهو يجيب فى صلابة :

– بل يمكننى أن أتصوّر هذا يا سنيور (بدروس) .. صدقنى .

(★) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم ١٠٠

هتف أحد الأطباء ، فى هذه اللحظة :

– ربّاه !.. إنك تنزف فى غزارة يا رجل .

كان جرح (أدهم) ينزف بالفعل ، وكأن الدماء تحلّ محل دموع الحزن والأسى والمرارة ، التى عجزت عن هزيمة جفنيه ، والانحدار على وجهه ، وظلّت حبيسة أعماقه ..

ولكن شيئًا ما جعل (بدروس) يستوعب مشاعر (أدهم) ، فغمغم :

– أنت تحتاج إلى عناية طبية يا سنيور (أدهم) .

قال (أدهم) :

– وأنت تحتاج إلى إعادة تقييم الموقف يا سنيور (بدروس) .

أسرع بعض الأطباء ينزعون قميص (أدهم) ، ويعالجون إصابته ، وقال أحدهم :

– إنها رصاصة ، ولكنها لم تستقر فى ذراعه ، بل اخترقته من الناحيتين ، ومن حسن الحظ أنها لم تخترق العظام .

وانهمكوا فى تضميد جرح (أدهم) ، فى حين بقى (بدروس) صامتًا بعض الوقت ، ثم سأله فى أسى :

– أتعتقد أن (جوانزاليس) سيقتلها ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

– بل أعتقد أنه سيسعى للمساومة بها .

هرع إليهما أحد الرجال ، فى هذه اللحظة ، وهتف :

– سنيور (بدروس) .. (جوانزاليس) يلقى بيانًا بشأنك .

أسرع (بدروس) و (أدهم) إلى حجرة الأطباء ، حيث يوجد جهاز تليفزيون كبير ، وشاهدا على شاشته (جوانزاليس) فى زيه العسكرى ، وهو يقول :

– ولقد نجح رجالنا فى إلقاء القبض على (جوانيتا) .. ابنة الخائن (جون بدروس) ، والتى قادت فرق المقاومة ، وقامت بمحاولة الاقتحام الفاشلة لمبنى المخابرات ، ونحن نحتفظ بها حاليًا ، ونواصل بحثنا عن قائد المخربين ، الذى تزعم محاولة قتل رئيسنا المحبوب (بونزا كورتينا) ، ولو لم يتم العثور عليه حتى الثامنة من مساء الغد ، سنبدأ فى استجواب ابنته ، فى حجرة الاعتراف ، لعلها تدلى بما نحتاج إليه من معلومات .

انغرست أصابع (بدروس) فى ذراع (أدهم) ، وهو يقول فى عصبية شديدة :

– هل سمعت يا سنيور (أدهم) ؟.. هل فهمت رسالة ذلك القذر (جوانزاليس) ؟.. إنه يطالبنى بتسليم نفسى ،

قبل الثامنة من مساء الغد ، وإلا سلَّم (جوانيتا) للشيطان (فرناندل) .. يا للوغد الحقير !

احتمل (أدهم) أصابع (بدروس) ، التى كادت تخترق لحم ذراعيه ، وهو يقول :

ـ اهدأ يا سنيور (بدروس) .. إننا فى منتصف الليل الآن ، وما زال أمامنا وقت للتفكير والتدبير .

هتف (بدروس) :

ـ إنها ابنتى يا رجل .. ألا تفهم ؟!.. ابنتى .

أزاح (أدهم) يده فى رفق ، وهو يقول :

ـ أنا أتفهَّم الموقف وأقدِّره يا سنيور (بدروس) ، ولكننى أرفض أن ينجح (جوانزاليس) فى أن يفقدنا أعصابنا ، ويدفعنا إلى اتخاذ خطوة غير مدروسة ، يكون فيها هلاكنا جميعًا .

لوَّح (بدروس) بكفيه فى عصبية ، وهو يقول :

ـ أنت على حق .. أنت على حق .. الأمر يحتاج إلى تفكير ، ودراسة ، و ...

ثم بتر عبارته ، وهتف :

ـ المهم هو أن ننقذ (جوانيتا) .

ربَّت (أدهم) على كتفه ، وقال :

ـ سننقذها بإذن الله يا سنيور (بدروس) .. امنحنى

بعض ثقتك ، وشىء من اتصالاتك وستستعيد (جوانيتا) ، وتطعن (جوانزاليس) اللعين فى مقتل أيضًا .

هتف (بدروس) :

ـ حقًا ؟!

ولم يجب (أدهم) ، فقد شرد ببصره وأفكاره ، وهو يدرس الموقف ، ويضع خطة الجولة القادمة .. والأخيرة ..

* * *

تطلَّع (بوراندى) إلى ساعته ، وهو يسأل رئيسه (جوانزاليس) :

ـ إنها السادسة والنصف .. هل تعتقد أنه سيحضر يا سيِّدى ؟

ارتسمت على شفتى (جوانزاليس) ابتسامة واثقة ، وهو ينفث دخان سيجاره الكوبى ، قائلًا :

ـ ليس لدى أدنى شك فى هذا .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى زهو :

ـ لو أنك تعرف (جون بدروس) كما أعرفه ، لأدركت أنه رجل فريد الطراز ، فهو عصامى ، بدأ حياته من الصفر ، وكافح طويلًا ، واحتمل الكثير والكثير ، حتى جمع ثروته ، وكوَّن إمبراطوريته هذه ، ولقد فعل كل هذا

بأساليب شريفة نظيفة ، وأمثال هذا الرجل يزدادون صلابة ، مع مرور الزمن ، بفضل ما قاسوه فى رحلتهم الصعبة ، ولكن تكون لهم دومًا نقطة ضعف ، لا يمكنهم الصمود أمامها قط .. ونقطة ضعف (بدروس) الوحيدة هى ابنته (جوانيتا) .. إنه لا يحتمل إصابتها بأدنى سوء ، وسيضحى بحياته ، لو اقتضى الأمر ، فى سبيل إنقاذها .

سأله (بوراندى) ، وهو يلقى نظرة أخرى على ساعته :

ـ لماذا تأخَّر هكذا إذن ؟

نفث (جوانزاليس) دخان سيجاره مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ سيصل قبل الموعد .. ثق بى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقط سمَّاعته ، ووضعها على أذنه فى لهفة ، ولم يلبث أن هتف :

ـ وصل ؟!.. لا .. لا تلقوا القبض عليه .. احملوه إلى مكتبى على الفور ، ولكن فتشوه جيدًا ، لن يروق لى أن يباغتنى بمسدس قاتل .

وأعاد السمَّاعة إلى موضعها ، وهو يضحك فى ظفر ، قائلًا :

ـ أرأيت يا (بوراندى) ؟.. لقد جاء بنفسه .. هل أدركت الآن كم أعرف (جون بدروس) ؟

داعب (بوراندى) مسدسه ، وهو يقول :

ـ لماذا لم يحضر معه ذلك المصرى ؟

أجابه (جوانزاليس) :

ـ فيما بعد يا (بوراندى) .. فيما بعد .. المهم أن نصل أوَّلًا إلى الرئيس ، ونتخلَّص منه ، وبعدها ستصبح كل مشكلاتنا هينة .

واعتدل فى مجلسه ، وأطفأ سيجاره الفاخر ، فى انتظار وصول (بدروس) ، ولم تمض عدة دقائق ، حتى كان الحرَّاس يصحبون هذا الأخير إلى الحجرة ، فتألَّقت عينا (جوانزاليس) ، وهو يتطلَّع إليه ، قائلًا فى شماتة :

ـ كنت أعلم أننى سآتى بك إلى هنا مرغمًا يا (بدروس) .

عقد (بدروس) حاجبيه فى توتر ، وهو يقول :

ـ أين ابنتى يا (جوانزاليس) ؟

ابتسم (جوانزاليس) فى سخرية ، وقال وهو يشير للحارسين :

ـ انصرفا ، واتركانا وحدنا .

سأله أحدهما فى اهتمام :

- أأنت واثق من أنك لا تحتاج إلينا يا فخامة الرئيس ؟
أجابه (جوانزاليس) :
- نعم ، فالسيد (بوراندى) يستطيع أن يتولى الأمر بنفسه .
أخرج (بوراندى) مسدسه ، ولوّح به فى حركة تمثيلية ، وكأنما يؤيد قول رئيسه ، فانسحب الحارسان على الفور ، وأغلقا الباب خلفهما ، وقال (بدروس) فى حدة :
- لماذا لا تعترف لهما بالسبب الحقيقى ، الذى دفعك لصرفهما ؟.. أنت لا تريد أن يعلم الجميع أنك ذلك الوغد ، الذى حاول اغتيال الرئيس ، وإلا لانقلبوا عليك ، وجعلوك تدفع الثمن غاليًا .
ابتسم (جوانزاليس) فى سخرية ، وقال :
- ماذا تقول يا عزيزى (بدروس) ؟!.. الجميع يعلمون أن الذى حاول اغتيال رئيسنا المحبوب هو ذلك الجاسوس المصرى .
قال (بدروس) :
- فليكن .. لن نناقش هذه السخافات الآن .. المهم هو : أين ابنتى ؟.. أين (جوانيتا) ؟
لوّح (جوانزاليس) بكفه ، وقال :
- فى الحفظ والصون يا عزيزى (بدروس) ، ولكن ما الذى ستمنحنى إياه ، مقابل استعادتها .

قال (بدروس) فى غلظة :
- أظن أن الاتفاق واضح بيننا يا (جوانزاليس) .. أنت تريد الرئيس ، وأنا أريد ابنتى وحريتى .
رفع (جوانزاليس) حاجبيه فى دهشة ساخرة ، وهو يقول :
- ابنتك وحريتك .. ألا تظن أنك تطلب الكثير يا (بدروس) .
قال (بدروس) فى صرامة :
- هذا شرطى يا (جوانزاليس) .
هتف (جوانزاليس) :
- شرطك ؟!
ابتسم (بوراندى) فى سخرية ، عندما انفجر رئيسه ضاحكًا ، قبل أن يقول :
- ومن قال إنك تستطيع إملاء شروطك يا صديقى ؟.. إنك تريد ابنتك فى شدة .. أليس كذلك ؟!
أجابه (بدروس) بنفس الصرامة :
- وأنت تريد الرئيس بشدة .
عقد (جوانزاليس) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :
- يمكننى أن أرغمك على كشف مخبئه .

أطلّت نظرة شديدة الصرامة من عينى (بدروس) ، وهو يقول :
- أنت تعرفنى منذ صبانا يا (جوانزاليس) ، فهل تعتقد أنك تستطيع إرغامى على هذا .
ازدرد (جوانزاليس) لعابه فى توتر ، ثم لوّح بذراعه ، قائلًا :
- أنت صديقى يا (بدروس) ، ولن أتناقش معك طويلًا .. فليكن .. سأعطيك ابنتك وحريتك ، وتعطينى الرئيس .
ثم مال نحوه ، مستطردًا فى لهفة :
- أين هو يا (بدروس) ؟.. أين تختفى الرئيس ؟
قال (بدروس) :
- أريد أن أرى ابنتى أوّلًا يا (جوانزاليس) .. لن تحصل منى على حرف واحد ، قبل أن أتأكد من أنها بخير .
تبادلا نظرة قصيرة متحدية ، ثم تراجع (جوانزاليس) ، قائلًا :
- كنت أعلم أنك ستصرّ على هذا .
ثم ضغط زرًّا فوق مكتبه ، وقال :
- أحضر الفتاة يا (فرناندل) .

لم يكد يتمّ قوله ، حتى دفع أحدهم بابًا جانبيًا ، وعبره بصحبة الفتاة ، التى هتفت فى انفعال :
- أبى .
كان الرجل الذى يصحبها هو الدكتور (فرناندل) .. شيطان (باراجواى) بنفسه ، ولقد رمقه (بدروس) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول فى هدوء عجيب :
- كيف حالك يا (جوانيتا) ؟
بدت عليها الدهشة لحظة ، ثم هتفت :
- فى خير حال يا أبى .. كم تسعدنى رؤيتك .
ابتسم (جوانزاليس) فى ثقة ، وهو ينقل بصره بينهما ، ثم قال :
- ها هى ذى ابنتك يا عزيزى (بدروس) .. والآن أخبرنى .. أين الرئيس ؟
قال (بدروس) :
- وما الذى يضمن لى سلامتى وسلامة ابنتى ، بعد أن أخبرك ؟
هزّ (جوانزاليس) كتفيه ، ولوّح بذراعه ، قائلًا :
- ليس أمامك سوى أن تمنحنى ثقتك يا عزيزى (بدروس) ، فلو أننى أرغب فى تعذيب ابنتك ، لأرسلتها مباشرة إلى (فرناندل) ، وأنت تعلم كم يروق له أن يتعامل مع فتاة صغيرة وجميلة مثلها .

ابتسم (فرناندل) ابتسامة مقيتة ، كشفت عن أسنانه الصفراء غير المنتظمة ، وكأنه يؤيّد قول (جوانزاليس) ، الذى عاد يسأل فى صرامة :

ـ أين الرئيس يا (بدروس) ؟

تطلّع إليه (بدروس) لحظة ، ثم ابتسم فى سخرية ، وقال :

ـ هل ترغب حقًا فى معرفة مكانه ؟

ومع عبارته ، انتفض (جوانزاليس) و (بوراندى) و (فرناندل) فى عنف ، إذ لم يكن الصوت الذى سمعوه هو صوت (بدروس) ، الذى يعرفونه جيدًا ، وإنما كان صوت رجل آخر ، لايتمنى أحدهم رؤيته ، فى هذه اللحظة بالذات ..

كان صوت (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

★ ★ ★



١٣ ـ الصدمة ..

فتح الرئيس (بونزا كورتينا) عينيه فى إرهاق ، وتطلّع فى ضعف إلى العيون المحدّقة فى وجهه ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يسأل :

ـ أين أنا ؟

ميّز من بين الوجوه ملامح وصوت (بدروس) ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا فخامة الرئيس .. أنت هنا فى رعايتنا ، ويسعدنا كثيرًا أن تستعيد وعيك .

هتف الرئيس فى عصبية :

ـ أنا أعرفك يا هذا .. أنت (بدروس) .. (جون بدروس) .. صديق ذلك الخائن (جوانزاليس) ، الذى أطلق علىّ النار .

ربّت (بدروس) عليه فى رفق ، وهو يقول :

ـ اهدأ يا فخامة الرئيس .. هناك أمور عديدة تحتاج إلى الشرح والتفسير ، وأهمها أننى لست صديقًا لذلك الوغد (جوانزاليس) .

قال الرئيس فى دهشة :

ـ كيف هذا ؟!.. أنتما زميلا دراسة ، والجميع يعلمون أنه لا يثق بمخلوق ، مثلما يثق بك !

ابتسم (بدروس) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ وهذا ما يحتاج إلى التفسير .

ثم جذب مقعدًا ، وجلس إلى جوار فراشه ، مستطردًا :

ـ دعنى أرو لك الأمر كله يا فخامة الرئيس .

وفى صبر ، راح يشرح له كل ما حدث ، منذ أطلق عليه (جوانزاليس) النار ، وحتى هذه اللحظة ، والرئيس يستمع إليه فى دهشة واستنكار ، ثم لم يلبث أن قال فى حدة :

ـ ذلك الوغد (جوانزاليس) .. سأفضحه فى كل مكان .. سأكشف أمره ، وأحاكمه ، و ...

قاطعه (بدروس) :

ـ لن يكون هذا بالأمر السهل يا فخامة الرئيس ، فهو ينتظر ظهورك للتخلص منك ، وسينسب هذا للمصريين ، ورجلهم (أدهم صبرى) .

عقد الرئيس حاجبيه ، وهو يقول :

ـ وما الذى تقترحونه إذن ؟

التقط (بدروس) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ الواقع أن لدينا خطة ، ويمكننا أن نمضى فيها الآن .

حاول الرئيس أن ينهض ، وهو يقول :

ـ دعونى أعاونكم على تنفيذها إذن .

هتف به رئيس فريق الأطباء :

ـ رويدك يا فخامة الرئيس .. إنك لم تتجاوز فترة النقاهة بعد ، ولا يمكنك السير .. لقد أحضرنا لك مقعدًا متحرّكًا .

رفع الرئيس حاجبيه فى استنكار ، وهو يقول :

ـ مقعد ماذا ؟!.. هل فقدت القدرة على السير ؟

أجابه الطبيب بسرعة :

ـ مطلقًا يا فخامة الرئيس .. إنه أمر مؤقّت ليومين أو ثلاثة ، حتى تنتهى فترة النقاهة ، وتتجاوز ضعفك هذا .

مطّ الرئيس شفتيه لحظات فى اعتراض ، إلا أنه لم يلبث أن قال :

ـ فليكن ، ولكن من الضرورى أن يكون لى دور فى خطتكم .

أومأ (بدروس) برأسه ، وقال :

ـ بالطبع يا فخامة الرئيس .. إنك صاحب الدور الرئيسى فى الخطة ، وسيبدأ دورك بعد عودة (أدهم) .

ثم شرد بصره ، وخفق قلبه فى قوة ، وهو يكمل :
ـ هذا لو أمكنه العودة .
واعتصر الخوف قلبه بشدة ..

★ ★ ★

حدّق الرجال الثلاثة فى وجه الواقف أمامهم فى ذهول ، وعلى الرغم من ملامح (جون بدروس) التى يحملها ، إلا أنهم أدركوا تمامًا أنه ليس سوى (أدهم صبرى) ، رجل المخابرات المصرى ، الذى وقع اختيارهم عليه ـ لسوء حظهم ـ لتنفيذ خطتهم الجهنمية ..
وكان (بوراندى) هو أوّل من هزم ذهوله ، وهتف وهو يستلّ مسدسه :
ـ اللعنة !.. إنه هو .
وثب (أدهم) جانبًا فى خفة ، ودار حول نفسه فى رشاقة ، وركل المسدس من يد (بوراندى) ، ثم قفز يلتقطه فى الهواء ، وهو يقول :
ـ من الخطإ أن تعبث بالأسلحة النارية أيها الخرتيت .
ولم يكد يهبط على قدميه ، حتى لكم (بوراندى) فى أنفه بكل قوته ، مستطردًا :
ـ فهذا يسبب بعض المتاعب السخيفة فى المساء .
تراجع (بوراندى) مع اللكمة العنيفة ، وتفجّرت الدماء

غزيرة من أنفه ، ولكن قبضة (أدهم) الأخرى انفجرت فى أسنانه ، فابتلع اثنتين منها ، قبل أن يتلقّى اللكمة الثالثة بين عينيه ، ويسقط فاقد الوعى ..
كل هذا حدث فى أقل من ثانية واحدة ، وعندما هوى (بوراندى) ، كان (جوانزاليس) يقفز نحو زر الإنذار فى مكتبه ، ولكن صوت (أدهم) الصارم جمّده فى مكانه ، وهو يقول :
ـ افعلها يا (جوانزاليس) ، وامنحنى مبرّرًا مناسبًا لنسف رأسك بلا رحمة .
اتسعت عينا (جوانزاليس) فى رعب ، وهو يحدّق فى فوهة مسدس (بوراندى) ، الذى يصوّبه إليه (أدهم) ، وارتجف صوته ، وهو يقول :
ـ سنيور (أدهم) .. لا تقتلنى .. أرجوك .
وهتفت (جوانيتا) فى سعادة :
ـ كنت أعلم أنك لست أبى .. لقد عرفت هذا منذ اللحظة الأولى .. أنا وحدى أدركت هذه الـ ..
قبل أن تتم عبارتها ، جذبها (فرناندل) من شعرها بغتة فى قسوة ، واستلّ خنجرًا ، ووضعه على عنقها ، وهو يهتف :
ـ ألق مسدسك أيها المصرى ، أو أذبح الفتاة بلا رحمة .

هتف (جوانزاليس) فى فرح ، وهو يلتقط فتّاحة الخطابات الحادة من فوق مكتبه ، وينقض بها على (أدهم) :
ـ أحسنت يا (فرناندل) .. أحسنت .
ولكن (أدهم) قبض على معصمه ، ولواه فى عنف ، والتقط فتّاحة الخطابات بيسراه ، ثم هوى على رأس (جوانزاليس) بكعب مسدسه ، فأعاده إلى مقعده فاقد الوعى ، وهتف (فرناندل) فى عصبية :
ـ توقّف .. توقّف أو أذبح الفتاة .
استدار إليه (أدهم) فى صرامة ، وصوّب إليه المسدس ، وهو يقول :
ـ اترك (جوانيتا) أيها الوغد .
قال (فرناندل) فى عصبية :
ـ بل ألق أنت سلاحك .
جذب (أدهم) إبرة مسدسه ، وهو يكرّر فى صرامة :
ـ اترك (جوانيتا) .
ازدرد (فرناندل) لعابه ، وهو يقول فى عصبية :
ـ لا تحاول تهديدى بمسدسك .. أنا أعلم أنك لن تجرؤ على إطلاق النار قط ، فرصاصة واحدة تدوى هنا ، تكفى لتحويل مبنى المخابرات هذا إلى ترسانة مسلّحة ، لا يمكن أن تفرّ منها ذبابة .

ثم برقت عيناه فى وحشية ، مع استطرادته :
ـ أما أنا فسأذبح الفتاة بلا رحمة ، وألعق دماءها أيضًا ، دون أن أخشى شيئًا .
انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة غاضبة ، وهو يقول :
ـ إنك لم تترك لى الخيار .
قالها ، وتحرّكت يده اليسرى فى سرعة ، وشهقت (جوانيتا) عندما مرقت فتّاحة الخطابات على قيد سنتيمترات من أذنها ، ثم سمعت من خلفها شهقة أخرى مختنقة ، انطلقت من حنجرة (فرناندل) ، الذى تراخت يده المحيطة بعنقها ، فدفعت يده فى ذعر ، وابتعدت عنه بقفزة طويلة ، ثم استدارت تتطلّع إليه ، وهتفت :
ـ يا إلهى !
كانت فتّاحة الخطابات ، التى ألقاها (أدهم) ، قد اخترقت عنق (فرناندل) ، الذى جحظت عيناه فى ألم وارتياع ، وحاول أن يقول شيئًا ما ، ثم هوى جثة هامدة ، فصاحت (جوانيتا) :
ـ لقد قتلته .
أجابها (أدهم) فى حزم :
ـ أنا أبغض القتل دائمًا ، ولكن بعض البشر لا يستحقون سوى هذا .



كانت فتّاحة الخطابات ، التى ألقاها (أدهم) ، قد اخترقت عنق (فرناندل) ، الذى جحظت عيناه فى ألم وارتياع ..

تطلّعت مرة أخرى إلى جثة (فرناندل) ، ثم نقلت بصرها بين (بوراندى) و (جوانزاليس) الفاقدى الوعى ، وقالت :

ـ لقد هزمت ثلاثتهم ، ولكننا مازلنا داخل مبنى المخابرات .. كيف تتوقّع الخروج من هنا .

ابتسم وهو يقول :

ـ لدى خطة محدودة .

ثم التقط سمّاعة هاتف (جوانزاليس) الخاص ، وقال :

ـ أنا الرئيس (جوانزاليس) .. أريد طائرتى الهليوكوبتر الخاصة فى الفناء الآن .

اتسعت عينا (جوانيتا) فى ذهول ، عندما نطق تلك العبارة بصوت يماثل صوت (جوانزاليس) تمامًا ، وصاحت وهو يعيد السمّاعة إلى موضعها ، ويلتفت إليها مبتسمًا :

ـ كيف فعلت هذا ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

ـ إنها هواية قديمة .

قالت فى دهشة بالغة :

ـ هواية ؟!.. ألا تعتقد أنها هواية غريبة بعض الشىء يا سنيور (أدهم) .

ابتسم وهو يخلع سترته ، فسألته مستطردة :

ـ وحتى لو نفذوا الأمر ، وأتوا بالهليوكوبتر إلى الساحة ، كيف يمكننا أن نصل إليها ؟.. هل نقفز من النافذة ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلّا .. لدى وسيلة أكثر بساطة .

قالها ومد يده ، ينتزع قناع (بدروس) عن وجهه ، فاتسعت عينا (جوانيتا) فى دهشة ..

دهشة بالغة ..

★ ★ ★

استغرق مدير المخابرات فى نوم عميق ، فوق الأريكة الوثيرة ، فى ركن حجرة مكتبه ، وراحت الكوابيس تهاجمه فى شراسة ، وتصوّر له الفضيحة العالمية ، التى ستتعرّض لها (مصر) ، إذا ما فشل (أدهم) فى عمله ، ورأى نفسه وسط محيط هائل متلاطم الأمواج ، وتحيط به وحوش مخيفة ، و ...

« سيّدى .. » ..

تسلّلت الكلمة إلى أذنيه ، فانتفض فى قوة ، وفتح عينيه قائلًا :

ـ ماذا حدث ؟

رأى أمامه مدير مكتبه ، يقول فى خفوت :

ـ سيادة رئيس الوزراء هنا .

غمغم المدير فى شىء من الحيرة :

ـ رئيس الوزراء !!

نطقها كما لو كانت هى المرة الأولى ، التى يسمع فيها بوجود مثل هذا المنصب ، ثم لم يلبث أن استعاد صفاء ذهنه دفعة واحدة ، فاعتدل جالسًا على الأريكة ، وهو يقول :

ـ ماذا أصاب الجميع ؟.. إننى أحتل منصبى هذا منذ خمسة أعوام ، لم يطأ رئيس الوزراء أرض المبنى بقدميه خلالها ، سوى مرة واحدة ، عندما أتى لتهنئتى بالمنصب ، والآن أتلقّى منه ثلاث زيارات فى يومين .

ابتسم الرجل ، وهو يقول :

ـ أنت تعرف دقة الموقف يا سيّدى .

أومأ المدير برأسه ، وهو يمسح وجهه ، مغمغمًا :

ـ نعم .. أعرفه .

ثم سأله :

ـ وأين سيادة رئيس الوزراء ؟

أجابه الرجل ، مشيرًا بإبهامه :

ـ لقد دعوته للدخول إلى هنا ، ولكنه طلب منى إيقاظك أوّلًا ، وقال إنه سينتظر فى مكتبى ، حتى تغسل وجهك ، وتستعيد نشاطك .

نهض المدير يلتقط سترته ، وهو يقول :
ـ بل دعه يدخل على الفور ، وأحضر لنا قدحين من القهوة بدون سكر .
قال الرجل :
ـ على الفور يا سيِّدى .
وغادر الحجرة بسرعة ، ولم تمض دقيقة ، عدَّل خلالها المدير رباط عنقه ، حتى دلف رئيس الوزراء إلى حجرته ، وهو يقول :
ـ مساء الخير .. هل من أخبار جديدة ؟
أجابه المدير ، وهو يصافحه فى احترام :
ـ مساء الخير يا سيادة رئيس الوزراء .. لم ترد إلينا أية أخبار جديدة بعد ، لو أنك شاهدت ذلك البيان ، الذى ألقاه (جوانزاليس) .
جلس رئيس الوزراء ، وهو يلوِّح بيده ، قائلًا :
ـ لقد بدا بشعًا وهو يلقيه ، ولكن ما الذى قصده بإشارته إلى حجرة الاعتراف هذه .
أجابه المدير :
ـ لديهم هناك فى مبنى المخابرات فى (باراجواى) حجرة خاصة فى القبو ، يطلقون عليها اسم (حجرة الاعتراف) ، ويستخدمون فيها أكثر أساليب القسوة

والوحشية ، لانتزاع الاعترافات ، عن طريق عدد من أجهزة التعذيب ، تحت إشراف طبيب سادى ، يحمل اسم (فرناندل) ، ويطلقون عليه هناك لقب (شيطان باراجواى) .
مطَّ رئيس الوزراء شفتيه ، وهو يغمغم :
ـ يا للبشاعة !
ثم مال نحو المدير ، مستطردًا فى قلق :
ـ ولكن لو أردت رأيى فى صراحة ، فما زلت لا أشعر بالارتياح .. هل تثق بأن (أدهم) هذا يستطيع مواجهة الموقف ؟
تنهَّد مدير المخابرات ، وبدا كما لو أنه قد سئم هذا السؤال ، ولكنه أجاب :
ـ الموقف فى (باراجواى) ليس عاديًا يا سيادة رئيس الوزراء ، وأعترف بأنه خطير ومعقَّد للغاية ، ومهمة (أدهم) هناك ليست بالسهلة أو البسيطة ، إذ أنها لا تقتصر على النجاة بنفسه فحسب ، وإنما عليه أن يثبت براءة (مصر) أيضًا .
سأله رئيس الوزراء فى اهتمام :
ـ هل أوضحت له هذا الهدف ؟

هزَّ مدير المخابرات رأسه نفيًا ، فاحتقن وجه رئيس الوزراء ، وقال فى حدة وعصبية :
ـ كيف تتوقع منه أن يفعل هذا إذن ؟
أجابه مدير المخابرات :
ـ هذا هو (أدهم صبرى) يا سيادة رئيس الوزراء .. إنه ليس رجل مخابرات تقليديًا ، ولا يمكنك حتى أن تقنع شخصًا نمطيًا بوجود مثله .. إنه حالة نادرة .. رجل لا يتكرَّر قط فى الزمن الواحد .. إنه يدرك طبيعة مهنته جيدًا ، ويستطيع تحليل الموقف واستنتاج طبيعته ، وتحديد أهداف مهمته وحده ، كما أنه يمتلك موهبة العمل دون خطة مسبقة ، وابتكار وسائل التنفيذ المناسبة .
هتف رئيس الوزراء :
ـ سيادة المدير .. إنك تتحدَّث عنه كما لو كان أسطورة .
ابتسم المدير ، وقال :
ـ إنه كذلك بالفعل .
تطلَّع إليه رئيس الوزراء لحظات فى شك ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، وهو يقول :
ـ مازلت لا أشعر بالارتياح .
انبعث فجأة صوت آلة (الفاكسميلى) ، على مكتب المدير ، وظهرت منها رسالة ، التقطها المدير بسرعة ، فسأله رئيس الوزراء :

ـ أهى أخبار جديدة ؟
أجابه المدير :
ـ إنها برقية من (أدهم) ، يقول فيها إن الرئيس (بونزا) بخير ، وأنه سيستعيد وعيه بين ساعة وأخرى ، ثم يطلب منا متابعة قناة (سى . إن . إن .) الإخبارية .
ارتفع حاجبا رئيس الوزراء فى دهشة ، وهو يقول :
ـ وما سر هذا المطلب الأخير ؟
قال المدير ، وهو يفكِّر فى عمق :
ـ لست أدرى بالضبط ، ولكن الشىء الذى أثق به ، هو أن متابعتنا لقناة (سى . إن . إن .) الإخبارية ، ستحمل إلينا مفاجأة .
وكان على حق تمامًا فى استنتاجه هذا ..
إنه سيشاهد مفاجأة ..
مفاجأة مدهشة ..

★ ★ ★

اعتدل رجال الحراسة فى احترام ، عندما مرَّ أمامهم (بوراندى) ، بالضمادات التى تخفى وجهه ، وهو يدفع أمامه (جوانيتا) فى غلظة ، وسمعوه يسألهم فى صرامة ، بصوته الخشن الجاف :
ـ هل تم إعداد الهليوكوبتر ؟

أجابه أحدهم :
ـ نعم يا سنيور (بوراندى) .. الهليوكوبتر معدة فى الساحة ، والطيّار فى انتظار فخامة الرئيس .
قال (بوراندى) ، فى غلظة :
ـ لن يستقل فخامة الرئيس الطائرة .. لقد طلب إعدادها من أجلى ، لأنقل هذه الخائنة إلى القصر الجمهورى ، حيث سيتم استجوابها هناك .
قال الحارس فى احترام :
ـ نحن رهن إشارة فخامة الرئيس يا سنيور (بوراندى) .
مطّ (بوراندى) شفتيه فى غرور ، ودفع (جوانيتا) أمامه فى قسوة ، وهو يقول :
ـ هيّا أيتها الخائنة .. لن نقضى حياتنا كلها هنا .
صاحت به فى غضب :
ـ ليس من حقك أن تعاملنى هكذا .. أريد محاميًا .
أطلق ضحكة عصبية ، وقال :
ـ من الواضح أنك تجهلين وسائلنا يا ابنة (جون بدروس) .
تابعه الحراس ببصرهم ، وهو يدفع (جوانيتا) أمامه ، متجهين نحو الساحة ، حيث تنتظر الهليوكوبتر ، وهمس أحدهم لزملائه :

ـ يا للمسكينة !.. إنها لا تدرى كيف يتم الاستجواب فى المعتاد .
قال آخر :
ـ ستستوعب هذا فى سرعة .. ألم تر كيف يعاملها (بوراندى) ؟
هزّ الأوّل رأسه فى أسف ، حين قال ثالث :
ـ بمناسبة الحديث عن (بوراندى) .. ألا يبدو لكما مختلفًا قليلًا ؟
ابتسم أحدهم ، وقال :
ـ مطلقًا .. إنه قبيح وقاس كعادته ، وتلك الضمادات المحيطة بوجهه تزيده بشاعة .
قال الرجل :
ـ ليس هذا ما أقصده ، ولكننى أشعر أنه أقصر قامة .
تبادل الآخرون نظرة دهشة ، وغمغم أحدهم :
ـ أقصر قامة ؟!.. نعم .. ربّما .
وهتف آخر :
ـ وكيف يكون أقصر قامة ؟
قال ثالث :
ـ لو أن أحدهم ينتحل شخصيته .
وبدت الحيرة على الرابع ، وهو يقول :

ـ وماذا عن صوته ؟.. لقد تحدّث إلينا .. أليس كذلك ؟
أربكهم هذا القول الأخير ، فعادوا يتبادلون نظرة دهشة وحيرة ، ثم ضحك أحدهم فى ارتباك ، وقال :
ـ يبدو أن أعصابنا متوترة كثيرًا يا رفاق .. أرأيتم كيف تعاملنا مع موقف بسيط ، وكأنه خدعة قاتلة ؟
ضحك آخر ، وقال :
ـ هذا صحيح .. كيف تصوّرنا أن أحدًا يمكنه أن ينتحل شخصية آخر ، بهذه الدقة المذهلة .
ولكن واحدًا منهم بقى معقود الحاجبين ، وغمغم فى عصبية :
ـ ولكنه أقصر قامة بالفعل .
ثم وضع يده على مسدسه ، مستطردًا :
ـ ولن يضيرنا أن نتأكّد .
وتحرّك فى حزم نحو الساحة ، وهتف :
ـ سنيور (بوراندى) .. لحظة من فضلك .
لم يتوقّف (أدهم) لحظة واحدة ، على الرغم من أنه سمع الهتاف فى وضوح ، وواصل طريقه مع (جوانيتا) نحو الهليوكوبتر ، فهتف الرجل مرة أخرى :
ـ انتظر يا سنيور (بوراندى) .. إنه أمر هام .

وفجأة ، برز (بوراندى) الأصلى من نافذة حجرة الرئيس ، وهو يصرخ :
ـ أوقفوا هذا الرجل .. ألقوا القبض عليه .. إنه ينتحل شخصيتى .. لقد أصاب الرئيس .. أوقفوه .
وهنا استل رجل الأمن مسدسه ، وهو يصرخ :
ـ كنت أعلم هذا .
وتعالى دوى الرصاصات فى مبنى المخابرات مرة ثانية .

★ ★ ★

١٤ ـ إشارة البدء ..

توقفت سيارة أجرة أمام مستشفى (نيويورك)، وغادرها رجل متوسط الطول، رصين الهيئة، يرتدى منظارًا طبيًا، وحلة أنيقة للغاية، ويحيط بفمه شارب ولحية قصيران، مَنحَاه مظهرًا وقورًا، يفوق سنوات عمره بخمسة أو ستة أعوام إضافية، وحمل الرجل حقيبته الصغيرة، واتجه بها إلى مكتب استعلامات المستشفى، وقال بانجليزية سليمة تمامًا:

ـ أنا الدكتور (صبرى) .. (أحمد صبرى) .. أستاذ وخبير جراحات المخ والأعصاب .. لقد تم استدعائى من (المملكة العربية السعودية)، على نحو عاجل.

راجعت موظفة الاستعلامات هذه البيانات على شاشة الكمبيوتر بسرعة، ثم قالت فى احترام:

ـ مرحبًا بك هنا يا دكتور (صبرى) .. لقد تم استدعاؤك من أجل مريضة مصرية، فى قسم الحالات المزمنة، تعانى غيبوبة عميقة غير قابلة للعلاج، وقريبها المصرى هو الذى طلبك بالذات، وقال إنه مستعد لدفع كافة التكاليف، و ...

قاطعها الدكتور (أحمد صبرى) فى قلق:

ـ ما اسم هذه المريضة ؟

ألقت الموظفة نظرة على الشاشة، وأجابت:

ـ اسمها (منى توفيق)، وقريبها يعالج هنا، من إصابة فى اليد اليمنى، واسمه ...

قاطعها الدكتور (أحمد) مرة أخرى:

ـ اسمه (قدرى) .. أعلم هذا .. أين أجد قسم حالات الغيبوبة المزمنة هذا.

أجابته فى دهشة:

ـ فى الطابق الثالث إلى اليمين، ولكن دعنا نتحدَّث عن مصاريف الانتقال والتكاليف، و ...

هتف، وهو يتحرك فى خطوات سريعة نحو المصعد:

ـ اشطبى خانة التكاليف هذه .. سأقوم بكل العمل المطلوب مجانًا.

ارتفع حاجباها فى دهشة بالغة، وهى تهتف:

ـ مجانًا ؟!.. وكيف تفعل هذا ؟

رأته يقفز داخل المصعد، ويضغط زر الطابق الثالث، فهزَّت رأسها فى دهشة، وقالت فى استنكار:

ـ مجانين هؤلاء المصريون .. كيف يمكن أن يفعل المرء أى شىء مجانًا، مهما كان الثمن ؟!

وهزَّت كتفيها فى لا مبالاة، وعادت إلى عملها.

أما الدكتور (أحمد)، فلم يكد يصل إلى الطابق الثالث، حتى اندفع نحو قسم حالات الغيبوبة المزمنة، وهناك استقبله (قدرى)، وهو يهتف فى ارتياع:

ـ دكتور (أحمد) .. حمدًا لله على سلامتك .. كم يسعدنى أنك حضرت بهذه السرعة.

سأله الدكتور (أحمد) فى قلق بالغ:

ـ ماذا حدث يا (قدرى) ؟.. ماذا هناك ؟

ارتجف (قدرى) فى انفعال، وهو يجيبه:

ـ لقد تدهورت حالة (منى) فجأة .. كانت حالتها مستقرة، حتى ذهبت لرؤيتها، وأخبرتها أن (أدهم) فى مأزق شديد، وأنه يحتاج إلينا.

هتف الدكتور (أحمد):

ـ أخبرتها ماذا ؟!

أجابه (قدرى) فى ألم، وكأنه يشعر بتأنيب الضمير:

ـ لم أكن أعلم أنها تستطيع سماعى، وفهم ما أقول، ولكننى لم أكد أبلغها، حتى ارتفع نبضها، واضطربت الإشارات الصادرة عن مخها، وزاد معدَّل تنفسها، فأسرعت أبلغ فريق الأطباء، وراحوا يفحصونها جميعًا، ويحاولون فهم ما أصابها، ولكن دون جدوى، مما دفعنى إلى استدعائك على الفور.

تطلَّع إليه الدكتور (أحمد) فى حيرة، وقال:

ـ ولكن هذا مستحيل يا (قدرى) .. لا يمكن أن تسمعك (منى)، وهى فى مثل هذه الغيبوبة، ثم إن ارتفاع معدلات النبض والتنفس يعنى أنها على وشك الخروج من غيبوبتها.

قال (قدرى)، وقد تجمَّعت فى عينيه دمعة كبيرة:

ـ لقد ارتفعت المعدَّلات فى البداية فحسب، ثم لم تلبث أن تدهورت بشدة .. الشىء الوحيد الذى لم يتغيَّر فيها هو اضطراب إشارات المخ، الذى لا يجد له الأطباء تفسيرًا هنا.

انعقد حاجبا الدكتور (أحمد) لحظات، ثم قال:

ـ فليكن .. دعنا نراجع ملفَّها أولًا، ونلق نظرة عليها.

انحدرت دموع (قدرى) الساخنة، وهو يراقب (منى)، التى بدت شديدة الشحوب، وقد التفَّ حولها فريق من الأطباء والممرضات، وبينهم الدكتور (أحمد صبرى)، يناقشون حالتها، ويراجعون تقاريرها والفحوص التى أجريت لها ..

وكان من الواضح أن الموقف محيِّر ..

محيِّر بشدة ..

لقد ارتسم هذا على وجوه الجميع ، وبالذات الدكتور (أحمد) ، الذى بدأ يفحص (منى) بنفسه ، ثم أعتدل ، وتبادل حديثًا قصيرًا مع فريق الأطباء ، قبل أن يغادر الحجرة ، فاستقبله (قدرى) قائلًا فى لهفة :

ـ ما رأيك ؟

تنهَّد الدكتور (أحمد) فى عمق ، قبل أن يقول :

ـ كل ما رأيته وسمعته لا مثيل له ، فى كل الحالات الطبية المسجَّلة يا (قدرى) ، حتى أننا اتفقنا جميعًا على أنه لا يوجد سوى تفسير واحد لحالة (منى) .

سأله (قدرى) بصوت مضطرب :

ـ ما هو ؟

خفض الدكتور (أحمد) عينيه ، وهو يقول فى أسف :

ـ أن (منى) تحتضر .

وهوى قلب (قدرى) من صدره ..

★ ★ ★

لم يكد رجل الأمن يستلّ مسدسه ، عند ساحة مبنى المخابرات ، حتى انتزع (أدهم) مسدس (بوراندى) الذى يحمله ، واستدار فى سرعة مذهلة ، وأطلق النار بدوره ..

وفى نفس اللحظة التى أصابت فيها الرصاصة مسدس رجل الأمن ، وأطاحت به بعيدًا ، كان زملاؤه ينتزعون مسدساتهم ، و (بوراندى) يصرخ من أعلى :

ـ ألقوا القبض عليه .

صرخت (جوانيتا) فى فزع ، ولكن (أدهم) أمسك يدها فى قوة ، وانطلق يعدو معها نحو الهليوكوبتر ، ومن خلفهما انطلقت رصاصات رجال الأمن ..

وهتف الطيَّار فى دهشة ، عندما رأى (أدهم) يدفع (جوانيتا) داخل الهليوكوبتر :

ـ ما الذى يحدث بالضبط ؟

استدار (أدهم) يطلق النار على رجال المخابرات ، ثم وثب بدوره داخل الهليوكوبتر ، وهتف بالطيَّار ، وهو يدفعه خارجها :

ـ حدث أننى لا أثق بقيادتك يا رجل .

سقط الطيَّار من الهليوكوبتر ، فاحتل (أدهم) مقعده فى سرعة ، وضغط الأزرار ، وجذب عصا القيادة ، فارتفعت الهليوكوبتر بسرعة مخيفة ، ورصاصات الرجال ترتطم بجسمها من الخارج ، وصاحت (جوانيتا) فى هلع :

ـ سيصيبون الهليوكوبتر بأضرار فادحة .

أجابها فى حزم ، وهو ينطلق بالطائرة :

ـ اطمئنى .. إنها طائرة (جوانزاليس) الخاصة ، وهى مصفَّحة ، وليس من السهل إصابتها .

كانت تتوقَّع منه أن يبتعد بالهليوكوبتر بأقصى سرعة ، ولكنها فوجئت به يحوم حول المبنى ، فهتفت :

ـ ما الذى ستفعله بالله عليك ؟.. لماذا لا نبتعد عن هنا بأقصى سرعة ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء مستفز :

ـ انتظر رد الفعل .

صاحت :

ـ تنتظر ماذا ؟!.. أسرع يا رجل ، وإلا بدءوا فى مطاردتنا .

دار بالهليوكوبتر دورة أخرى ، حول مبنى المخابرات ، ثم قال :

ـ لقد بدأت المطاردة .

نطقها فى ارتياح عجيب ، جعل حاجباها يرتفعان بدهشة ، وخاصة عندما لمحت ثلاث طائرات هليوكوبتر حربية تنطلق نحوهما ، وقالت فى حنق ، عندما بدأ (أدهم) ينطلق مبتعدًا :

ـ لماذا انتظرتهم ؟

ابتسم ساخرًا ، وهو يقول :

ـ خشيت أن يفقدوا أثرى .

هتفت فى ذهول :

ـ ماذا ؟!

اكتفى بابتسامة غامضة هذه المرة ، وهو يدفع عصا القيادة ، وينطلق بالهليوكوبتر بأقصى سرعتها ..

ولكن موقفه لم يكن وحده سر دهشتها ..

لقد أدهشها أيضًا موقف الطائرات الحربية الثلاث ، إذ اكتفت بمطاردة الهليوكوبتر من بعيد ، دون أن تطلق رصاصة واحدة نحوها ..

كل هذا جعلها تشعر أنها أمام سر غامض .. وعجيب ..

★ ★ ★

انتفض جسد (جوانزاليس) ، مع تلك الصرخة التى أطلقها (بوراندى) ، لتحذير رجال الأمن من (أدهم) ، واعتدل يحدِّق فيه بدهشة ، ثم أدار عينيه فى حجرته الواسعة ، ورأى الدكتور (فرناندل) جثة هامدة ، و (بوراندى) فى ثيابه الداخلية ، يصرخ عند النافذة ، وسمع صوت هليوكوبتر ترتفع ، و (بوراندى) يصرخ :

ـ لقد هرب .. لقد تركوه يهرب .

ثم اندفع داخل الحجرة ، وهتف عندما رأى (جوانزاليس) :

ـ سيِّدى .. لقد استعدت وعيك .. حمدًا لله .. رجل المخابرات المصرى انتحل شخصيتى ، ونجح فى الهروب .. هل أطلب من طائراتنا مطاردته يا سيِّدى ؟.. إنه يستقل طائرتك الخاصة .

حدّق (جوانزاليس) فى وجهه بدهشة وذهن مشتت ، وقال :

ـ نعم .. افعل .

التقط (بوراندى) سمّاعة الهاتف ، وصاح :

ـ الخائن هرب فى هليوكوبتر الرئيس .. انطلقوا خلفه .

وهنا استعاد ذهن (جوانزاليس) صفاءه بغتة ، فاختطف السمّاعة من يد (بوراندى) ، وهتف :

ـ لا تطلقوا عليه النار .. طاردوه وحدّدوا موقع هبوطه فحسب .

وأعاد السمّاعة إلى موضعها ، فحدّق (بوراندى) فى وجهه بدهشة ، وهتف :

ـ لماذا يا سيّدى ؟.. لماذا لا تنسفه طائراتنا ؟

أجابه (جوانزاليس) فى صرامة :

ـ إنه يستقل طائرتى الخاصة أيها الغبى .

ثم عقد حاجبيه ، وقال :

ـ ولكن هذا ليس السبب الرئيسى .

سأله (بوراندى) فى حيرة :

ـ وما السبب الرئيسى يا سيّدى ؟

أشار (جوانزاليس) بيده ، وقال :

ـ إلى أين سيذهب المصرى فى رأيك ؟

قال (بوراندى) :

ـ إلى حيث يختبئ (بدروس) ، ليعيد إليه ابنته .

قال (جوانزاليس) فى حماس :

ـ عظيم .. وأين يختبئ (بدروس) ؟

هزّ رأسه فى حيرة ، مغمغمًا :

ـ لست أدرى .

أجاب (جوانزاليس) :

ـ أفضل مكان يختبئ فيه ، هو المكان نفسه الذى يخفون فيه الرئيس ، فهو فى نظرهم ، أفضل مكان آمن ، بدليل أنهم اختاروه لهذا الغرض .

أدرك (بوراندى) ما يعنيه رئيسه ، فهتف :

ـ نعم .. نعم .. هذا صحيح .

ابتسم (جوانزاليس) ، وهو يقول :

ـ دعه يفرّ إذن ، ودعنا نتعقّبه من بعيد ، وسنعرف أين سيذهب ، وأين يختبئ (بدروس) ، وأين يخفى الرئيس ، وعندئذ ..

اكتفى بطرقعة إصبعيه كجواب ، ولكن (بوراندى) أكمل فى حماس :

ـ وعندئذ ننقض على الجميع ، ونسحق زعيم المقاومة ، ثم نقتل الرئيس ، وننهى المقاومة بقتله .

أشار إليه (جوانزاليس) بسبّابته ، قائلًا :

ـ بالضبط .

تهلّلت أسارير (بوراندى) ، وهو يهتف :

ـ أنت عبقرى يا سيّدى .. عبقرى حقيقى .

اتسعت ابتسامة (جوانزاليس) ، وهو يقول :

ـ هذا أمر طبيعى يا (بوراندى) .. أنا العبقرى الوحيد هنا ، وعندما ننتهى من مهمتنا ، سأبقى رجل المخابرات المصرى حتى النهاية ، حتى يعلم أنه حتى لو ربح معظم الجولات ، فإن ما يحسم النتائج فى النهاية هو الجولة الأخيرة وحدها .

وبرقت عيناه فى شدة ..

★ ★ ★

توتّرت أعصاب (جوانيتا) كثيرًا ، و (أدهم) ينطلق بالهليوكوبتر فى خط مستقيم ، وهتفت به :

ـ مازالوا يتبعوننا .

قال فى هدوء :

ـ عظيم .

صاحت به فى حدة :

ـ سنيور (أدهم) .. هل تعمل لحسابنا ، أم لحساب (ألبرتو جوانزاليس) ؟

أجابها فى هدوء :

ـ لا هذا ولا ذاك ، أنا أعمل لحساب (مصر) وحدها .

صاحت غاضبة :

ـ أمر يستحق الإعجاب ، ولكن ، ألم تنتبه أيها الوطنى المخلص ، إلى أنك تنطلق فى خط مستقيم تمامًا ، وبلا أدنى مناورة أو مواربة ، متجهًا إلى ضيعة والدى السرية ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى هدوء :

ـ لقد لاحظت هذا .

قالت فى عصبية أكثر :

ـ وهل لاحظت أيضًا أننا لو واصلنا السير على هذا النحو ، فستكشف طائرات الهليوكوبتر الثلاث التى تطاردنا ، موقع ضيعة والدى السرية بمنتهى البساطة ؟

مال بالهليوكوبتر جانبًا ، وهو يقول :

ـ دعينا نتظاهر بالمناورة ، ومحاولة الإفلات منهم .

قالت فى دهشة :

ـ وماذا بعد تظاهرنا هذا ؟

أجاب فى بساطة :

ـ سنقلقهم بعض الوقت ، ثم نعود إلى مسارنا الأول .

هتفت :

ـ لن يخدعهم هذا .

قال مبتسمًا :
ـ أتعشم ذلك .
قالت فى عصبية :
ـ إذن فأنت تتوقع منهم أن يواصلوا تعقّبك ، حتى تصل إلى ضيعة أبى السرية ، حيث يخفى الرئيس .
أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ بالضبط .
احتقن وجهها فى شدة ، وهى تقول :
ـ آه .. لقد فهمت .
ابتسم (أدهم) ، قائلًا :
ـ كنت أتوقّع هذا ، فأنت فتاة ذكية ، و ...
انقضّت فجأة على عصا القيادة ، صائحة :
ـ أنت خائن يا سنيور (أدهم) .
أدّت تلك المبادرة المباغتة إلى اختلال توازن الهليوكوبتر ، فانحرفت فى عنف ، ومالت على نحو بالغ الخطورة ، فصاح بها (أدهم) :
ـ ماذا تفعلين أيتها الحمقاء ؟!.. ستتسبّبين فى سقوط الهليوكوبتر !
تشبثت بعصا القيادة فى إصرار وعناد ، وهى تهتف :
ـ هذا أفضل .. سنموت معًا ، بدلًا من أن ترشدهم إلى مخبإ أبى والرئيس .

انتزعها (أدهم) من عصا القيادة فى عنف ، وهو يقول :
ـ أيتها الغبية .. لست تفهمين شيئًا .
راحت الهليوكوبتر تميل يمينًا ويسارًا فى عنف ، وطائرات الهليوكوبتر الحربية الثلاث تتابعها فى حيرة ودهشة ، حتى حسم (أدهم) المعركة ، عندما وضع (جوانيتا) على مقعدها ، وضغط على كتفها فى قوة ، ليمنعها من الحركة ، وهو يسيطر على عصا القيادة من جديد ، هاتفًا :
ـ يا لك من طفلة مدلّلة سخيفة .. كيف تصوّرت أنه من الممكن أن أخون والدك ؟!.. لقد تصوّرت أنك فهمت أنها خدعة مقصودة ، ووالدك على علم بها .
هتفت فى دهشة :
ـ خدعة مقصودة .
ثم عادت تعقد حاجبيها فى شدة ، وهى تستطرد :
ـ لست أصدّقك .. لا يمكن لوالدى أن يوافق على جذبهم إلى حيث يخفى الرئيس .
قال (أدهم) ، وهو يهبط بالهليوكوبتر ، على بعد ستين مترًا من المزرعة :
ـ هذا ما سيتوقعونه أيضًا .

ثم جذبها خارج الهليوكوبتر ، مستطردًا :
ـ ولكن والدك سيخبرك بنفسه .
انطلق يعدو ، وهو يجذبها خلفه ، حتى وصل إلى المزرعة ، فصاحت به :
ـ لو أنها خدعة لجذبهم ، فلماذا هبطنا بعيدًا ؟
أجابها وهو يتجاوز البوّابة الخالية من رجال الحراسة :
ـ حتى لا تبدو كخدعة مكشوفة .
قادها فى صرامة إلى ذلك المصعد السرى ، فى الحظيرة القديمة ، وهبط معها إلى القسم الطبى ، ولم يكد والدها يلمحها ، حتى هتف فى سعادة :
ـ (جوانيتا) .. ابنتى الحبيبة .
ألقت (جوانيتا) نفسها بين ذراعى والدها ، وبكى الاثنان فى حرارة ، فى حين انتزع (أدهم) قناع (بوراندى) ، وألقاه بعيدًا ، وهو يقول :
ـ ابنتك أرهقتنى كثيرًا يا سنيور (بدروس) .
ضحك (بدروس) فى سعادة ، وهو يضمّ ابنته إليه ، قائلًا :
ـ هذا دأبها .
ثم سأل (أدهم) فى اهتمام :
ـ هل نجحت فى جذب الذباب ؟



انطلق يعدو ، وهو يجذبها خلفه ، حتى وصل إلى المزرعة ..

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وخلع سترة (بوراندى) ، قائلًا :
ـ نعم .. وعلينا أن نستعد لاستقبالهم .
هتفت (جوانيتا) :
ـ أبى .. هل كنت تعلم أنه سيفعل هذا ؟
أجابها والدها مبتسمًا :
ـ بكل تأكيد .
وتبادل نظرة سريعة مع (أدهم) ، وهو يستطرد :
ـ لقد اقتربت المباراة من نهايتها يا بنيتى ، وستكون النهاية مبتكرة .. مبتكرة للغاية .
قالها وعاد يتبادل نظرة مع (أدهم) ، وابتسم كلاهما ابتسامة واسعة ..
وغامضة ..
غامضة للغاية ..

★ ★ ★



١٥ ـ الجولة الأخيرة ..

« لا يمكننى تصديق هذا !.. »
ألقى الدكتور (أحمد صبرى) هذه العبارة ، وهو يهزّ رأسه فى حيرة ، ويراجع كل التقارير الخاصة بـ (منى) للمرة العاشرة ، ثم التفت إلى (قدرى) ، مستطردًا :
ـ لا يوجد سند علمى واحد لهذه الأعراض .. النبض والتنفّس انخفضا إلى المعدلات الطبيعية ، فى حالات الغيبوبة المزمنة ، ولكن إشارات المخ لا تزال مضطربة ، وتسجّل نشاطًا زائدًا ، بالنسبة للحالة ، وكأن (منى) واعية تمامًا .
قال (قدرى) ، فى أسى :
ـ لقد سمعتنى .. أنا المسئول عن هذا .
لوّح الدكتور (أحمد) بيده ، وهو يهتف :
ـ مستحيل !.. لا يمكن أن يحدث هذا علميًّا .. الغارقون فى الغيبوبة العميقة لا يبدون أية نشاطات حيوية ، ثم إنك تحدّثت إليها من خلف الحاجز الزجاجى لحجرتها ، كما أخبرتنى ، ومن المستحيل أن تسمع ما قلته فى هذه الحالة ، حتى ولو كانت واعية .

قال (قدرى) فى حزن :
ـ لا يوجد تفسير سوى هذا .
لوّح الدكتور (أحمد) بسبّابته ، وقال فى حزم :
ـ العلم يرفض هذا .
انتفض (قدرى) فى حنق ، وهو يقول :
ـ فليذهب العلم وقواعده إلى الجحيم .. لست أومن بكل هذا ، قدر إيمانى بلغة القلوب .
حدّق الدكتور (أحمد) فيه بدهشة ، وهو يقول :
ـ لغة ماذا ؟
أجابه فى حدة :
ـ لغة القلوب .. تلك اللغة غير المكتوبة ، والتى لا يؤمن بها سوى من يحبون بعمق ، فهم يدركون أن قلوبهم تتجاوب مع بعضها ، دون أن تتحرّك ألسنتهم ، فأحد القلبين ينقبض ، والثانى يرتخى .. هل تفهم هذه اللغة ؟
هزّ الدكتور (أحمد) رأسه فى دهشة ، وقال :
ـ كلّا ..
ثم أضاف فى حدة مماثلة :
ـ ولكن هذا مجرّد كلام فلسفى أنيق ، قد يصلح لمجلة نسائية ، أو لسلسلة روايات رومانسية ، ولكنه لا يصلح كمرجع علمى ، وحالة (منى) تحتاج إلى دراسة علمية .

عقد (قدرى) ساعديه أمام صدره ، وقال :
ـ هذا شأنك .
بدا الضيق على وجه الدكتور (أحمد) ، وقال :
ـ اسمع يا (قدرى) .. لسنا هنا لنتصارع ، ولكن لنتعاون معًا ، من أجل (منى) .
عادت الدموع تترقرق فى عينى (قدرى) ، وهو يقول :
ـ وهل يمكننا أن نمنحها الدواء المناسب ؟
صمت الدكتور (أحمد) لحظات ، ثم أجاب :
ـ الواقع يا عزيزى أن حالة (منى) لا تحتاج إلى دواء .
سأله (قدرى) :
ـ ما الذى تحتاج إليه إذن ؟
صمت الدكتور (أحمد) لحظات أخرى ، وشرد ببصره قبل أن يقول :
ـ إلى معجزة .
وانهمرت الدموع ثانية من عينى (قدرى) ..

★ ★ ★

استعدّت طائرات الهليوكوبتر الحربية الثلاث للإقلاع ، من ساحة مبنى مخابرات (باراجواى) ، وجرى (بوراندى) خلف (جوانزاليس) ، قائلًا :
ـ أمن الضرورى أن تشرف على هذه الحملة بنفسك يا سيّدى ؟

أجابه (جوانزاليس)، وهو يتخذ مقعده، داخل واحدة من الطائرات الثلاث:

ـ بالطبع أيها الغبى .. هل تتوقّع منى أن أصدر أمرًا لشخص آخر، بقتل الرئيس فور رؤيته ؟!.. أنسيت أن كل هؤلاء الذين نقودهم، مازالوا يدينون بالولاء للرئيس (بونزا)، وأنهم لا يتعاونون معنا، إلا لثقتهم بأننا نسعى لإنقاذه.

قال (بوراندى)، وهو يتخذ مقعده إلى جواره:

ـ يمكننى أن أفعل هذا وحدى.

هزّ (جوانزاليس) رأسه نفيًا فى قوة، وهو يقول:

ـ كلّا .. سأؤدى هذه المهمة بنفسى .. لم أعد أثق بأحد.

ثم التفت إلى طيّار الهليوكوبتر، وصاح:

ـ هيّا بنا.

أقلعت طائرات الهليوكوبتر الثلاث دفعة واحدة، وسأل (بوراندى)، وهى تنطلق نحو الهدف:

ـ هل تكفى طائرات ثلاث، لقتال رجال المقاومة ؟

أجابه (جوانزاليس):

ـ هناك أربع فرق من القوات الخاصة، تحيط بالضيعة الآن، ولكن الجميع ينتظرون وصولنا، ولن يطلقوا رصاصة واحدة قبل هذا.

أومأ (بوراندى) برأسه متفهمًا، دون أن ينبس ببنت شفة، وظلّ على صمته طوال الطريق، حتى وصلت الطائرات إلى ضيعة (بدروس) السرية، وهبطت فى ساحتها، ولم يكد (جوانزاليس) يغادر طائرته، حتى تقدّم منه قائد فرق القوات الخاصة، وأدى التحية العسكرية فى احترام، وهو يقول:

ـ العميد (كارلوس) فى خدمتك يا فخامة الرئيس .. لقد حاصرنا الضيعة، ولكننا لم نجد أدنى مقاومة، ويبدو أن الجميع فرّوا قبل وصولنا.

صاح (جوانزاليس) فى غضب:

ـ فرّوا ؟!.. كيف يحدث هذا أيها العميد .. لقد أهملتم تنفيذ واجبكم.

أجابه العميد فى حزم:

ـ لقد وصلنا فور تلقينا الأمر يا فخامة الرئيس.

صاح به (جوانزاليس):

ـ ربما يختبئون فى الداخل .. أعطنى أحد مكبرات الصوت.

ناوله أحد الجنود مكبرًا صوتيًا، فصاح عبره فى صرامة:

ـ إلى كل من يختبئ فى المزرعة .. استسلموا فورًا، وإلا نسفنا كل حجر فى المكان.

مضت لحظات من الصمت، ثم ارتفع علم أبيض، من جانب الحظيرة القديمة، واندفع الجنود يلقون القبض على صاحبه، الذى ارتجف قائلًا:

ـ الرحمة !.. أنا لم أفعل شيئًا أيها السادة .. أنا سايس خيول مسكين، لا شأن لى بما يحدث هنا.

سأله (جوانزاليس)، فى صرامة وحدّة:

ـ أين ذهب الجميع ؟.. أين اختفوا ؟

لوّح الرجل بيده، وهو يقول:

ـ لقد غادروا المكان بسرعة يا سيّدى .. هربوا مذعورين، وكأن شياطين العالم كله تطاردهم، حتى أنهم لم يحملوا المريض معهم.

سأله (جوانزاليس) فى لهفة:

ـ أى مريض ؟!

أجابه الرجل مرتجفًا:

ـ ذلك الذى يحتفظون به أسفل الحظيرة القديمة .. لقد تركوه مع اثنين من الأطباء، ورحلوا كلهم.

تبادل (بوراندى) و(جوانزاليس) نظرة سريعة، ثم سأل الأخير الرجل:

ـ هل يمكنك أن تقودنا إلى حيث يخفون ذلك المريض ؟

أجاب الرجل بسرعة:

ـ بالطبع يا سيّدى .. بالطبع .. صحيح أنهم لا يشركوننى فى عملهم، إلا أننى كنت أختلس النظر، وأعرف الكثير عن هذا الأمر.

وقادهم إلى الحظيرة القديمة، وضغط ذلك الحجر، فانزاح الجدار جانبًا، وبرز المصعد السرى من الأرضية، فهتف (بوراندى) مبهورًا:

ـ يا للداهية (بدروس) .. لم يكن من الممكن أن نكشف هذا الأمر قط.

وقال العميد (كارلوس)، فى حذر:

ـ احترس يا فخامة الرئيس .. ربما كان فخًا.

أشار إليه (جوانزاليس)، قائلًا:

ـ سنتحرّى هذا الأمر.

التفت العميد إلى اثنين من رجاله، وقال:

ـ (خوان) .. (بابلو) .. اهبطا إلى أسفل، و ...

قاطعه (جوانزاليس)، فى صرامة:

ـ كلّا .. (بوراندى) سيهبط وحده.

هتف (بوراندى):

ـ أنا رهن إشارتك يا سيّدى.

وقفز داخل المصعد، وهبط به إلى أسفل، حيث بقى لحظات، ثم عاد إلى أعلى، وقال وعيناه تبرقان فى شدة:

ـ الرجل على حق يا سيِّدى .. إنه وحده مع طبيبين .
هتف العميد (كارلوس) :
ـ فخامة الرئيس (بونزا) هنا ؟ يا لسعادتنا !.. لقد نجحت مهمتنا .
قال له (جوانزاليس) فى صرامة :
ـ لا تتسرع يا رجل .. انتظر حتى ألتقى بالرئيس ، وأتأكّد من أنه بخير .
ثم اتجه إلى المصعد ، مستطردًا :
ـ هيّا يا (بوراندى) .
ارتفع حاجبا العميد (كارلوس) فى دهشة ، وهو يهتف :
ـ مستحيل !.. لا يمكنك أن تهبط وحدك إلى هناك يا سيِّدى .. هذا يخالف كل القواعد والإجراءات الأمنية المتعارف عليها !!.. دعنى أرسل اثنين من رجالى أولًا ، ثم ...
قاطعه (جوانزاليس) ، فى غضب صارم :
ـ ماذا أصابك يا رجل ؟.. أنسيت أننى أنا الذى يضع القواعد الأمنية هنا ؟
غمغم العميد فى حيرة متوترة :
ـ لا .. لم أنس يا سيِّدى .. ولكن ..

قاطعه (جوانزاليس) فى حدة :
ـ لا يوجد لكن .. انتظر هنا حتى أعود إليك .. هذا أمر .
أدّى العميد التحية العسكرية ، وهو يقول :
ـ كما تأمر يا سيِّدى .
وتعلّق بصره بالمصعد ، الذى استقله (جوانزاليس) ، بصحبة حارسه الخاص (بوراندى) ، الذى أمسك مسدسه الآلى فى قوة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة جذل ، والمصعد يهبط بهما ، حتى اختفى على سطح الأرض ، فزفر العميد فى توتر وعصبية ، وقال :
ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!.. إننى لم أشاهد مثل هذا فى حياتى كلها .. الرئيس المؤقّت للبلاد يأتى بنفسه إلى حملة أمنية ، ويصرّ على التحرّك بصحبة حارسه الخاص وحده ، فى موقف يوحى بالشك ؟!.. إنه أمر يثير الحيرة ..
أتاه صوت من جانب الحظيرة ، يقول :
ـ ربما لا يصلح (جوانزاليس) لمنصبه قط .
استدار العميد فى سرعة ، مع عدد من رجاله ، إلى مصدر الصوت ، وارتفعت فوهات أسلحتهم نحو المتحدّث بحركة آلية ، ثم اتسعت عيونهم فى ذهول ، وهتف العميد :
ـ مستحيل !

فقد كانت أمامهم مفاجأة مدهشة ..
مدهشة للغاية ..

★ ★ ★

التقط (جوانزاليس) نفسًا عميقًا ، وهو يهبط إلى القسم الطبى ، وسأل (بوراندى) فى انفعال :
ـ أأنت واثق من أنه هناك بنفسه ؟
أجابه (بوراندى) فى حماس :
ـ نعم .. إنه يجلس على مقعد متحرك ، غير مسلّح ، وبصحبته طبيبان لرعايته ، ولكن أحدًا منهم لم يلمحنى .. لقد اختلست نظرة سريعة ، ثم تسللت عائدًا .
فرك (جوانزاليس) كفيه ، وهو يقول :
ـ عظيم .. هكذا نستطيع أن نقتل الرئيس ، وندّعى أننا وجدناه صريعًا ، وأن رجال المقاومة قتلوه قبل فرارهم .. رائع يا (بوراندى) .. كل شىء يسير على ما يرام .
وصل بهما المصعد إلى صالة الانتظار ، فعبراها فى خطوات سريعة ، ثم دفع (بوراندى) باب حجرة العناية المركّزة بقدمه ، وهو يشهر مسدسه ، هاتفًا :
ـ انتهت فترة العلاج أيها السادة .. سنتسلّم المريض الآن .

تراجع الطبيبان فى هلع ، فى حين انعقد حاجبا الرئيس فى غضب ، وهو يتطلّع إلى (جوانزاليس) ، الذى وقف عند الباب ، وهتف :
ـ (جوانزاليس) .. أيها المجرم الحقير .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟.. هل تريد إكمال جريمتك ؟.. ألم يكفك أن أطلقت النار على صدرى ؟
ابتسم (جوانزاليس) فى سخرية ، وهو يقول :
ـ كان هذا أكبر خطأ ارتكبته فى حياتى يا فخامة الرئيس .
قال الرئيس فى دهشة :
ـ هل أتيت لتعتذر ؟
أطلق (جوانزاليس) ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يقول :
ـ أعتذر ؟!.. كلّا يا فخامة الرئيس .. الاعتذار لم يدر بخلدى قط .. الخطأ الذى أتحدّث عنه ، هو أننى لم أطلق النار على رأسك مباشرة .. كان هذا كفيلًا بإنهاء المتاعب كلها دفعة واحدة .
قال الرئيس فى غضب :
ـ وكنت ستنسب هذا إلى مندوب الخارجية المصرى .. أليس كذلك ؟

أشار (جوانزاليس) إلى رأسه، وقال:
ـ هذه هى العبقرية .. أنا أطلق النار، والمصريون يسدِّدون فاتورة الذخيرة.
قال الرئيس فى ازدراء:
ـ ولماذا المصريون بالذات؟.. لا يوجد عداء محدود بيننا وبينهم!
قال (جوانزاليس):
ـ وهذا سيجعل موقفنا قويًا، وقابلًا للتصديق، فلماذا نلفق التهمة لـ (مصر) بالذات، ما دامت لا توجد ضغائن خاصة بيننا؟!.. تبرير بسيط، يمكننى أن أقنع به رجال الصحافة والإعلام، وعندما يسألون: ولماذا تفعل (مصر) هذا؟.. أرسم على وجهى علامات الاستنكار والأسى، وأنا أجيب: سلوا المصريين.
قالها، وأطلق ضحكة ساخرة أخرى، قبل أن يستطرد:
ـ وعلى أية حال، لقد انتهت المباراة يا فخامة الرئيس، ولم يعد هناك ما يقلق.
ثم التفت إلى (بوراندى)، وقال:
ـ اقتل الجميع.
وتراجع خطوتين إلى الخلف، ليفسح المجال أمام (بوراندى)، الذى برقت عيناه فى جذل، واستلّ مسدسه، وصوّبه إلى الرئيس، وابتسم (جوانزاليس) وهو يقول:

ـ الوداع يا فخامة الرئيس .. سنفتقدك كثيرًا، ولكننا سنقيم احتفالًا سنويًا فى ذكراك .. اطمئن.
وأشار إلى (بوراندى)، مستطردًا:
ـ هيّا .. أنهِ هذا الموقف بسرعة.
ودوت الرصاصات فى القسم الطبى..

★ ★ ★

عندما دوت الرصاصة الأولى، كان (جوانزاليس) يبتسم فى ظفر وشماتة، ولكنه فوجئ بأن الرصاصة لم تنطلق من مسدس (بوراندى)، وإنما أصابته، وأطاحت به إلى ركن الحجرة، ورأى الرئيس يمسك مسدسًا قويًا، تتصاعد من فوهته الأدخنة، وهو يقول:
ـ معذرة يا (جوانزاليس)، ولكننى أكره الاحتفالات السنوية، وخاصة عندما تقام فى ذكراى.
حاول (جوانزاليس) أن يلتقط مسدسه، ولكن رصاصة أخرى أطاحت به إلى الركن الآخر، وهتف (بوراندى):
ـ لقد استلّ الرئيس مسدسه بسرعة فائقة، حتى أننى لم ...
قاطعه (جوانزاليس)، فى حنق:
ـ إنه ليس الرئيس أيها الغبى.

نهض (أدهم) فى هدوء، من المقعد المتحرِّك، دون أن ينزع قناع الرئيس، أو يبدل صوته، وقال:
ـ انتهت المباراة يا (جوانزاليس) .. كانت هذه هى الجولة الأخيرة، ولقد خسرتها بجدارة.
قال (جوانزاليس)، فى حدة:
ـ لم تنته المباراة بعد يا هذا .. لا أحد يعلم ما حدث هنا، والجميع يتصوّرون أنك مجرّد جاسوس أرسلته (مصر)، ليغتال رئيسنا المحبوب، ولن يمكنك أن تقتلنى؛ لأنك لا تستطيع مواجهة ذلك الجيش فى الخارج .. أنا لا أخسر المباراة قط أيها المصرى..
ابتسم (أدهم) فى سخرية، وهو يقول:
ـ أخطأت هذه المرة يا (جوانزاليس) .. لقد خسرت المباراة تمامًا .. بل وخسرت كل شىء آخر فى حياتك .. وربما حياتك كلها.
ورفع يده، وطرقع سبّابته بإبهامه، فانزاحت المرايا المعلّقة على الجدران من الجانبين، وظهرت من خلفها آلات تصوير تليفزيونية، وعدد من الفنيين والمصورين، فشحب وجه (جوانزاليس) فى شدة، وهتف (بوراندى):
ـ ما هذا بالضبط؟
أشار إليهم (أدهم)، قائلًا:

ـ دعنى أقدّم لك الفريق الخاص للتحقيقات الخارجية، لمحطة (سى. أن. إن.) الإخبارية .. لقد تم تصوير كل ما فعلته، وكل حرف نطقت به، وبثته الأقمار الصناعية على الهواء مباشرة، لكل الدول التى تتابع هذه المحطة الإخبارية العالمية .. لقد انكشف أمرك يا (جوانزاليس)، ولم يعد لديك ما تخفيه.
ازداد شحوب وجه (جوانزاليس)، حتى صار أشبه بوجوه الموتى، وسمع من خلفه صوتًا يقول:
ـ الرجل على حق يا (جوانزاليس) .. لقد خسرت.
استدار (جوانزاليس) فى انهيار إلى مصدر الصوت، ورأى أمامه الرئيس (بونزا كورتينا) الحقيقى، على مقعده المتحرِّك، وخلفه (بدروس) والعميد (كارلوس)، الذى عقد حاجبيه، وشبك كفيه خلف ظهره، وهو يقول فى صرامة شديدة:
ـ (ألبرتو جوانزاليس) .. إننى ألقى القبض عليك بتهمة الخيانة العظمى، ومحاولة اغتيال رئيس الدولة، وتدبير انقلاب لقلب نظام الحكم.
امتقع وجه (بوراندى)، وهو يلتصق بالجدار، فى حين انهار (جوانزاليس) ساقطًا على ركبتيه، أمام الرئيس (بونزا)، وهتف:
ـ الرحمــة.

ولكن العيون كلها رمقته بنظرات قاسية صارمة ، أدرك معها أنه لم يعد يستحق الرحمة ، وأنه ليست المباراة وحدها هى التى بلغت نهايتها ..
بل حياته أيضًا ..

* * *

تهللت أسارير رئيس الوزراء فى شدة ، وهو يتابع ما حدث على شاشة التليفزيون ، على الهواء مباشرة ، عبر الأقمار الصناعية ، فى حين هتف مدير المخابرات فى حماس منقطع النظير :
ـ لقد فعلها .. فعلها (أدهم صبرى) مرة أخرى .. ألم أقل لك إن هذا سيحدث يا سيادة رئيس الوزراء ؟.. لقد هزم (أدهم) (جوانزاليس) ، وجعله يدلى باعتراف كامل ، على الهواء مباشرة ، أثبت خلاله براءة (مصر) من هذه الجريمة القذرة .. هل رأيت كيف يعمل هذا الرجل الفذ ؟.. ألا يستحق لقبه ؟
هتف رئيس الوزراء فى حماس :
ـ بل يستحق ما هو أكثر من هذا ، سأوصى السيِّد الرئيس بمنحه نوط الشجاعة ، أو وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى ، أو ...
قاطعه مدير المخابرات :

ـ معذرة يا سيادة رئيس الوزراء ، فمع احترامى وتقديرى لكل هذه الأنواط والأوسمة ، إلا أن (أدهم) لم يفعل ما فعل ، لأنه يسعى للحصول على أى منها .. إنه ـ لو لاحظت ـ لم يكشف وجهه الحقيقى على شاشات محطة (سى . إن . إن .) .. لقد فعل (أدهم) كل هذا ، لأن (مصر) تحتاج إليه .
قال رئيس الوزراء ، فى انبهار :
ـ وهذا هو الرجل ، الذى تحتاج إليه (مصر) .. أريد أن ألتقى بهذا الرجل ، فور عودته إلى (مصر) .. قل له أن يركب أوَّل (طائرة) وسأستقبله فى المطار بنفسى .
تنحنح مدير المخابرات ، وقال :
ـ معذرة يا سيادة رئيس الوزراء ، فلست أعتقد أن (أدهم) سيأتى من (باراجواى) إلى هنا مباشرة ، إذ إنه كان يرغب فى الذهاب إلى (أمريكا) أوَّلًا ، ولكن (جوانزاليس) أصرَّ على اصطحابه معه ، لذا فسيتجه حتمًا إلى (نيويورك) ، قبل عودته إلى هنا .
قال رئيس الوزراء :
ـ أمن الضرورى أن يذهب إلى هناك ؟
أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ نعم ، فقد ترك شيئًا هناك .

سأله رئيس الوزراء فى فضول :
ـ أى شىء هذا ؟
صمت مدير المخابرات لحظة ، ثم ابتسم ، وهو يجيب فى اقتضاب :
ـ قلبه .
ولم يزد حرفًا واحدًا ..

* * *

صافح (جون بدروس) (أدهم صبرى) فى حرارة ، فى مطار (باراجواى) ، وقال وهو يتطلع إليه فى تقدير واحترام :
ـ يسعدنى كثيرًا أن تعرفت رجلًا مثلك يا سنيور (أدهم) ، ومن دواعى فخرى أننى عملت يومًا إلى جوارك ، فمن النادر أن يلتقى المرء برجل مثلك ، فى عمره كله ، والواقع أننى أحسد (مصر) ، لأنك أحد أبنائها ، الساهرين على سلامتها وأمنها .
قال (أدهم) :
ـ أشكرك كثيرًا يا سنيور (بدروس) ، وأهنئك على القرار الذى أصدره الرئيس (بونزا) بتعيينك رئيسًا للمخابرات ، بدلًا من الخائن (جوانزاليس) .. لقد وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب بالفعل .

تنهَّد (بدروس) ، وهو يقول :
ـ عد إلينا مرة ثانية يا سنيور (أدهم) ، وتذكَّر دائمًا أن (باراجواى) هى وطنك الثانى ، وأننا منحناك تأشيرة دخول مفتوحة ؛ لتزورنا فى أية لحظة .
هتفت (جوانيتا) :
ـ ألا تبقى معنا قليلًا ؟.. ابق أسبوعًا أو أسبوعين .
هزَّ (أدهم) رأسه ، وهو يقول :
ـ كنت أتمنى أن أفعل يا (جوانيتا) ، ولكن هناك من يحتاج إلىَّ الآن ، وعلى وجه السرعة .
سألته فى فضول :
ـ أتقصد وطنك ؟
ابتسم دون أن يجيب ، ولكنه لم يكد يستقل الطائرة ، مغادرًا (باراجواى) ، حتى راح قلبه يخفق فى عنف ، وكيانه كله يهتف باسم واحد ..
ـ اسم (منى توفيق) ..

* * *

١٦ ـ الختـــام ..

تحرَّك عدد من الأطباء والممرضين فى توتر واضح ، فى الطابق الثالث من مستشفى (نيويورك) ، حيث قسم حالات الغيبوبة المزمنة ، واستوقف (قدرى) أحد الأطباء ، وسأله فى انهيار :

ـ هل ساءت حالتها إلى هذا الحد ؟

أجابه الطبيب فى اضطراب واضح :

ـ إننا لم نعد نفهم حالتها .. لقد تضاعفت شدة إشارات المخ ، حتى بلغت حدًّا غير طبيعى ، ومعدلات النبض والتنفس فى ارتفاع متزايد .

ثم تركه ، وأسرع إلى حجرة (منى) ، التى اجتمع فيها فريق الأطباء ، وعلى رأسهم الدكتور (أحمد صبرى) ، الذى يقول فى توتر :

ـ لم أشاهد هذه الأعراض قط من قبل .. كيف يتزايد نشاط المخ ، وتظل المريضة فى حالة غيبوبة .

أجابته طبيبة شابة :

ـ إنه ليس نشاطًا تقليديًّا يتزايد ، وإنما هو نوع من

الاضطراب العصبى ، كما لو أنها تمر بمرحلة قلق وتوتر شديدة .

هتف طبيب آخر :

ـ ماذا لو أنها تعانى بعض الكوابيس ؟

قالت الطبيبة فى دهشة :

ـ كوابيس ؟!.. ولكن لم يثبت أبدًا أن الغارقين فى الغيبوبة المزمنة ، يمكنهم أن يحلموا ، أو يصابوا بالكوابيس .

استمع (قدرى) إلى أحاديثهم ، وراح قلبه يبكى بدموع من دم ، وهتف فى أعماقه :

ـ أين أنت يا (أدهم) ؟.. أين أنت ؟

لم يكد الهتاف يتردَّد فى عقله ، حتى شعر بيد توضع على كتفه ، فاستدار بسرعة إلى صاحبها ، وهتف فى حرارة :

ـ (أدهم) .. حمدًا لله على سلامتك يا صديقى .. لقد كنت أدعو الله الآن ، أن يرسلك إلينا .

سأله (أدهم) فى توتر :

ـ ماذا أصاب منى ؟.

قلب (قدرى) كفيه ، وهو يقول :

ـ لا أحد يدرى .. إنها هكذا منذ يومين ، وبعضهم يقول إنها .. إنها ..

لم يستطع إتمام عبارته ، فهتف فى مرارة :

ـ إنها تحتاج إليك بشدة يا (أدهم) .

صمت (أدهم) لحظات ، استجمع خلالها كل مشاعره وانفعالاته فى أعماقه ، ثم تمتم :

ـ أعلم هذا يا صديقى .. أعلم هذا .

قالها وفتح باب الحجرة ، وقال فى لهجة حازمة آمرة :

ـ اتركونا وحدنا أيها السادة .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وهتف أحد الأطباء :

ـ من هذا الرجل ؟

ولكن الدكتور (أحمد) نهض قائلًا :

ـ اترك الحجرة .. هيَّا .. نفذوا ما طلبه الرجل .

هتفت الطبيبة الشابة :

ـ كيف ننفذ ما طلبه ؟!.. إنه لا يبدو أشبه بالأطباء .. من هو بالضبط ؟

تطلَّع الدكتور (أحمد) إلى شقيقه ، وقرأ تلك النظرة الصارمة فى عينيه ، فهتف :

ـ حسن .. أنا رئيس الفريق الطبى الآن ، والمسئول الأوَّل عن هذه الحالة ، وأنا أطالبكم جميعًا بالخروج .

غادر الأطباء الحجرة فى صمت ساخط ، وتجمعوا عند الجدار الزجاجى ، فى محاولة لرؤية ما يحدث داخلها ، فى حين توقَّف الدكتور (أحمد) أمام شقيقه لحظة ، وغمغم :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

وأسرع يغادر الحجرة بدوره ، ويغلق بابها خلفه ..

ولثوان ، وقف (أدهم) صامتًا ، يتطلَّع إلى (منى) ، ثم اقترب منها فى بطء ، وقبض على راحتها بأصابعه فى رفق ، ثم انحنى يهمس فى أذنها :

ـ أنا هنا يا حبيبتى .. وما زلت أحبك ، وسأنتظر عودتك إلىَّ ، حتى آخر لحظة فى حياتى .

همس بالعبارة بكل ما تحمله مشاعره من حب وحنان وأسى وهيام وحزن ، وعلى الرغم من أن ملامحها ظلت على جمودها وثباتها ، إلا أنه كان واثقًا من أن عبارته ومشاعره قد بلغا قلبها ..

وفى الخارج ، هتفت الطبيبة الشابة فى ذهول :

ـ انظروا .. كل المعدلات تعود إلى طبيعتها .. النبض والتنفس ، وحتى إشارات المخ !

اتسعت عيونهم جميعًا فى دهشة بالغة ، وتمتم الدكتور (أحمد) :

ـ مستحيل .. إنها معجزة !!

أغرقت الدموع وجه (قدرى) ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ بل هى تلك اللغة ، التى ترفض الاعتراف بوجودها .

وألقى نظرة طويلة على (أدهم) ، الذى جلس على

المقعد المجاور لـ (منى) ، واحتفظ بكفها بين أصابعه فى حنان ، قبل أن يستطرد بصوت متهدّج ، يحمل رنة سعادة حانية :

ـ لغة المحبين .

وانهمرت دموعه أكثر .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩